وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد خيضر –بسكرة–

كلية الآداب واللغات

قسم الآداب واللغة العربية

البيـــان في خـطب
الحجاج بن يوسف الثقفي

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في الآداب واللغة العربية

تخصص: أدب عربي قديم

إعداد الطالبة:

فطيمة بلخيري

إشراف الدكتور:

عبد الحميد عباسي

السـنة الجامعيـــة:

1436/1435هـ

2015/2014م

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الرَّحْمَنُ (1) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (2) خَلَقَ الإِنسَانَ (3) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ (4)﴾

صدق الله العظيم

سورة الرحمن الآيات (01-04)

مقدمـــة

يعد البيان من أهم العلوم البلاغية التي لها أثر في الكشف عن جمالية النص النثري ،حيث أولاه البلاغيون عناية خاصة في كتبهم ،فكثرت تواليفهم فيه ،ودارت آراؤهم النقدية حوله ، وكانت الخطابة تمثل ذروة البيان و عموده ، لذا نجد أنّ من أحكم الخطابة فقد جاد بيانه وسهل عليه إيصال أفكاره و التأثير في سامعيه و استمالة قلوبهم إليه ،ولكم رأينا في التاريخ من خطباء مفوهين كان لهم الصّدر في الكلام ،ومن الأمثلة على ذلك الحجاج بن يوسف الثقفي ،الذي يعد أحد رموز الخطابة العربية بعامة والأموية بخاصة ،فهو من كبار الخطباء و القادة السياسيين الذين عرفوا بالفصاحة و البلاغة في هذا العصر ،فقد ملأ الآفاق بخطبه الشهيرة و أحاديثه الكثيرة ،فلا تكاد كتب البلغاء تخلو من ذكر اسمه أو بعض من خطبه .

ونظرا لأهمية النص الخطابي عند الحجاج بن يوسف الثقفي ،وما تنطوي عليه من سمات وخصائص فنية ،وما تزخر به من صور بيانية جعلتها في صدارة النصوص النثرية التراثية الجديرة بالبحث و الدراسة ،ومن هذا المنطلق ارتأيت أن أقتحم حصون هذه النصوص الخطابية ،عند هذه الشخصية الأدبية و السياسية المتميزة ،فجاء بحثي هذا الموسوم ب:"**البيان في خطب الحجاج بن يوسف الثقفي** ".

ولعل من بين الأسباب التي دفعتني إلى اختيار هذا الموضوع هي:

ـ رغبتي الملحة في قراءة بعض من تراثنا النثري العربي وخاصة الخطابية منه، وتذوق معانيه، والاستمتاع بصوره البيانية من استعارات، وتشبيهات، وكنايات.

ـالتعرف على خصائص الصور البيانية في النص الخطابي عند الحجاج بن يوسف الثقفي بخاصة ،التي أضفت عليه لمسة جمالية فريدة ،قلما توفرت في النصوص الخطابية الأخرى .

ـكثرة الدراسات التي تتناول النثر العربي وخاصة الخطابة في العصر الأموي، بوصفها أرقى الفنون النثرية خاصة في هذا العصر مما صعب عليا جمعها هذه المادة كلها.

ولقد راودتني أسئلة كثيرة، فتحت لي آفاقا رحبة لدراسة جانب من جوانب تراثنا النثري جعلتني أغوص في مجال بحثي أهمها:

_ فيما تتجلى الصور البيانية في خطب الحجاج بن يوسف الثقفي ؟

_إلى أي مدى وفق الحجاج في توظيف عنصر البيان في خطبه ؟

_هل حقق الحجاج هدفه ومبتغاه من توظيف عنصر البيانية في خطبه؟

وقصد الإجابة عن هذه التساؤلات اعتمدت على المنهج التاريخي الذي ساعدني في تتبع بيئة الشاعر وعصره ،كما اعتمدت على المنهج الوصفي التحليلي الذي أعانني في تحليل وشرح الصور البيانية الموجودة في النصوص الخطابية .

وقد اعتمدت في تقسيم بحثي هذا على خطة تضم مدخلا تمهيديا، وفصلين، وخاتمة أما المدخل فقد تطرقت في قسمه الأول للإطار التاريخي للعصر الأموي ،وقدمت فيه لمحة وجيزة عن عصر الحجاج من النواحي السياسية والاجتماعية والأدبية، ولمحة مختصرة عنه ،وقسمه الثاني تناولت فيه البيئة الأموية ،من ثم تناولت النثر الفني بأنواعه المختلفة وختمت هذا المدخل بتعريف علم البيان .

أما الفصل الأول الذي كان عنوانه :"فن الخطابة في العصر الأموي "مقسم إلى ثلاثة مباحث ،المبحث الأول متفرع إلى مطلبين :الأول تناولت فيه تعريف الخطابة عند العرب وما الثاني فتناولت فيه تعريفها عن الغرب،أما المبحث الثاني متفرع إلى مطلبين :الأول تناولت فيه خصائص الخطابة، و الثاني عرضت فيه صفات الخطيب، أما المبحث الأخير عرضت فيه بعض من أعلام الخطابة في العصر الأموي وهما كلا من زياد بن أبيه،و أبو حمزة الشاري .

أما الفصل الثاني فهو تطبيقي وجاء عنوانه على هذا النحو:"الصور البيانية في خطب الحجاج بن يوسف الثقفي "،وهو مقسم إلى ثلاث مباحث ،الأول عرضت فيه الصورة التشبيهية ،وقد قسمته إلى مطلبين :الأول تناولت فيه تعريف التشبيه لغة و اصطلاحا والثاني تناولت فيه أنواعها،أما المبحث الثاني عرضت فيه الصور الاستعارية وهو بدوره مقسم إلى مطلبين :الأول عرفت فيه الاستعارة لغة واصطلاحا ،القسم الثاني خصصته لأنواع الاستعارة ،وختمت هذا الفصل بمبحث عرضت فيه صور الكناية وهو متفرع إلى قسمين :الأول عرفت فيه الكناية لغة و اصطلاحا ،و الثاني تناولت فيه أنواعها .

ومن أهم المصادر و المراجع التي اعتمدت عليها في هذا البحث بشكل كبير هي : البيان والتبيين للجاحظ، ودلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني، ومفتاح العلوم للسكاكي والصناعتين للعسكري، وجمهرة خطب العرب لأحمد زكي صفوت، وفن الخطابة لأحمد محمد الحوفي.

ولا يمكنني القول بأن بحثي قد خلا من المتاعب و الصعوبات، وهي طبيعة كل بحث ومن أهمها:ضيق الوقت.

وفي الأخير أتقدم بجزيل الشكر و العرفان للأستاذ المشرف **عبد الحميد عباسي** الذي أمدني بجميل تفانيه ،وطول صبره، ودقة ملاحظاته، جزاه الله عني كل خير،ولك مني فائق الاحترام و التقدير ،"والله ولي التوفيق".

مدخل: الإطار التاريخي والأدبي للعصر الأموي

1-الإطار التاريخي للعصر الأموي

2- التعريف بالحجاج بن يوسف الثقفي

3- الإطار الأدبي للعصر الأموي

4- تعريف علم البيان في اللغة العربية.

1-الإطار التاريخي للعصر الأموي (41 -96 هـ/ 661 -715 م)

قبل الحديث عن الإطار الأدبي للعصر الأموي، يتوجب علينا أن نقدم لمحة وجيزة عن شخصية الحجاج بن يوسف الثقفي، وإلقاء نظرة عن العصر الذي عاش فيه، حتى تكون لدينا خلفية تاريخية واضحة عن هذه الفترة.

قامت الدولة الأموية بعد انتهاء الخلافة الراشدية على يد معاوية بن أبي سفيان [1] الذي بويع « بالكوفة في شهر ربيع الأول سنة إحدى وأربعين (....) واجتمع الناس عليه تسع عشرة وخمسون سنة وشهور». [2] بعد مقتل الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه في الكوفة، وهو «ابن ثلاث وستين سنة صبيحة ليلة الجمعة، لسبع عشر ليلة خلت من شهور رمضان سنة أربعين». [3] فنصب بعد ذلك الحسن بن علي خليفة مكانه، غير أن هذا الأخير سرعان ما تنازل عن الخلافة لمعاوية، فبويع فيها معاوية بن أبي سفيان بالخلافة من طرف مؤيديه «في 25 ربيع الأول سنة 41 هـ». [4] وقد أطلق على هذا العام «بعام الجماعة لاتفاق كلمة المسلمين بعد الفرقة». [5] وأصبح مقر دولة بني أمية الجديد في دمشق، وغدت الخلافة ملكا وراثيا.

وتولى الخلافة في هذا العصر ثلاثة عشر خليفة، قسموا إلى مرحلتين رئيسيتين هما مرحلة البيت السفياني ومرحلة البيت المرواني نذكر منهم:

---

[1] ينظر: أحمد معمور العسيري: موجز التاريخ الإسلامي، مكتبة الملك فهد الوطنية، (د، ب،) ط1 ،1996م ص139 .

[2] أبو بكر بن أبيك الدواداري: كنز الدرر وجامع الغرر، تح/ جونهيلد براف وإريكا جلاسن، ج4، المؤسسة الجامعة للدراسات، بيروت، لبنان،(د.ط)،1994 م، ص13.

[3] الطبري: تاريخ الرسل والملوك، تح/ محمد أبو الفضل إبراهيم، ج5، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط8، 1971م ص151 ، 152.

[4] محمد الخضر بك: محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية الدولة الأموية، تح/ محمد العثماني، دار القلم، بيروت، لبنان ط1، 1986 م، ص 424.

[5] المرجع نفسه، ص نفسها .

مرحلة البيت السفياني تضم:

«معاوية بن أبي سفيان مؤسس دولة بني أمية (41 – 60 هـ: 661 – 680 م)

يزيد بم معاوية (60 – 64 هـ: 680 – 683 م)

معاوية بن يزيد(64 – 65 هـ: 683 – 684 م)» [1]

مرحلة البيت المرواني وتضم:

«مروان بن الحكم (64 – 65 هـ: 684 – 685 م)

عبد الملك بن مروان (65 – 86 هـ: 685 – 705 م)

الوليد بن عبد الملك (96 – 99 هـ: 705 – 715 م)»[2]

ولقد كان بنو أمية في هذا العصر، يعتزون بالعرب اعتزازا شديدا، ويرفعون من شأنهم وينظرون إلى الموالي نظرة احتقار وازدراء، فكانت دولة بني أمية عربية أعرابية ودولة بني العباس بعدهم أعجمية خرسانية، كما حافظ خلفاؤها على الثقافة العربية، حيث نشأ أبناؤهم في البادية يتعلمون فيها الشعر والأدب ويكتسبون الفطرة والطبع الصحيحين، كما شجعوا الرواة والأدباء والشعراء وكافؤوهم بجزيل العطاء، وكانت الوظائف في هذه الدولة مقتصرة على العرب وحدهم، من قيادة جيش وقضاء وإدارة وغير ذلك من كبرى المناصب في السياسة ، وكان هذا الاهتمام الشديد من طرف بني أمية للجنس العربي أحد الأسباب الكثيرة التي أدت إلى سقوط دولتهم سنة 132 هـ.[3]

---

[1] محمد عبد المنعم خفاجي: الأدب العربي وتاريخه في العصرين الأموي والعباسي، دار الجيل، بيروت، لبنان (د.ط)،1990 م، ص 4.

[2]المرجع نفسه، ص نفسها.

[3]ينظر: محمد عبد المنعم خفاجي: الحياة الأدبية بعد ظهور الإسلام، دار جيل، بيروت، لبنان، (د.ط)، 1990 م ص 321 ، 322.

2-التعريف بالحجاج بن يوسف الثقفي (41 هـ – 95 هـ)

2-1-مولده ونشأته:

الحجاج بن يوسف هو: «أبو محمد الحجاج بن يوسف». [1] «بن الحكم بن أبي سعد بن عوف بن ثقيف». [2] كان فيما قبل«يسمى كليبا، ثم سمي بالحجاج». [3] وكان مولده «بالطائف سنة (41 هـ – 661 م)، أبوه هو الحكم بن أبي عقيل بن مسعود بن عامر أما أمه فهي الفارعة بنت همام بن عروة بن مسعود الصحابي المشهور.

نشأ الحجاج في أسرة مثقفة، فقد كان هو وأبوه يعلمان الصبيان بالطائف القرآن الكريم وكان أجرهما على ذلك أرغفة مختلفة الأشكال والألوان والأحجام، [4] وفي ذلك «يقول مالك بن الريب المازني يهجو الحجاج:

فَمَاذَا عَسَى الحّجَاجُ يَبلُغُ جُـهدَه إذَا نَـحنُ جَاوَرْنَا حَفِيرَ زِيَاد7

فَلَولاَ بَنُو مَروَانَ كَـانَ بنُ يُوسُفَ كَمَـا كَانَ عَبدًا مِـنْ عَبِيدِ إيَاد

زَمَـانُ هُو الـعَبدُ المُقرّ بِذُلِـهِ يُرَاوِحُ غِلمَان القُرى ويُغادى» [5]

مالك بن الريب في أبياته هذه يسخر من الحجاج وبعيره، لأنه كان يعلم الصبيان بالطائف.

---

[1]سامر محي الدين أمين: الحجاج بن يوسف الثقفي حياته، أخباره، دار المستقبل، عمان، الأردن، ط1، 2012 م ص15.

[2]ابن الأثير: الكامل في التاريخ، تح /محمد يوسف الدقاف، ج 4، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 1987م ص284.

[3]عماد الدين بن كثير القرشي: البداية والنهاية، تح /حان عبد المان، ج 1، بيت الأفكار الدولية، عمان، الأردن، ط1 (د.ت)، ص1397.

[4]ينظر: عمر فروخ :الحجاج بن يوسف الثقفي، مكتبة الكاشف، بيروت، لبنان، (د.ط)، 1941 م، ص 3.

[5] ابن قتيبة: المعارف، تح/ ثروت عكاشة، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط 4، (د.ت)، ص548.

«وهجاه شاعر آخر يقول:

أَيَنسَى كُلَيبٌ زَمَانَ الهُزَالِ وَتَعلِيمَهُ سُورَةَ الكَوثرِ

رَغِيفٌ لَهُ فَلْكُة مَا تُرَى وآخَرُ كَالقَمَرِ الأَزهَرِ». [1]

غير أن الحجاج كان طموحه أكبر من ذلك بكثير، فترك مهنة التعليم بالطائف، «ثم قدم دمشق فكان عند روح بن زنباع وزير عبد الملك، فشكا عبد الملك إلى روح أن الجيش لا ينزلون لنزوله ولا يرحلون لرحيله، فقال: عندي رجل توليه ذلك، فولى عبد الملك الحجاج أمر الجيش، فكان لا يتأخر أحد في النزول أو الرحيل». [2]

فلفت الحجاج بذلك أنظار الخليفة عبد الملك، ورأى فيه شدة وحزما، فبعثه لقتال عبد الملك بن الزبير بمكة المكرمة، «وجهز معه جيشا فقدم على مكة، ونصب المنجنيق على الكعبة، وفعل ما فعل من قتل ابن الزبير، وصفت الخلافة لعبد الملك فسر باجتهاد وأرسل إليه عهده على مكة والمدينة والطائف، (...)، ثم كتب إلى عبد الملك يقول: إني قد حزت الحجاز بشمالي، وبقيت يميني فارغة، يعرض بالعراق، فبعث إليه عهده على العراق». [3]

2-2-ولايته على العراق:

عهد عبد الملك بن مروان ولاية العراق إلى الحجاج سنة 75 هـ وقد حدثنا ابن كثير عن ذلك فقال:

---

[1] ابن قتيبة: المعارف، ص548.

[2] عماد الدين بن كثير: البداية والنهاية، ج 1، ص1397.

[3] جمال الدين بن نباتة: سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون، تح/ محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي (د ب)، (د ط) 1964 م، ص173.

«ولي عبد الملك الحجاج بن يوسف الثقفي نيابة العراق والبصرة والكوفة وما يتبع ذلك من الأقاليم الكبار، وذلك بعد موت أخيه بشر بن مروان، فرأى عبد الملك أنه لا يسد عنه أهل العراق غير الحجاج لسطوته وقهره وقسوته وشهامته، فكتب إليه وهو بالمدينة ولايته العراق». [1] فخرج الحجاج من المدينة بعد ما وصله كتاب عبد الملك متجها نحو العراق في اثنتي عشر راكبا، ولما وصل إلى الكوفة دخل المسجد وصعد المنبر وهو متلثم بعمامة خز حمراء متقلدا سيفا، متنكبا قوسا فجلس على المنبر [2]،« واضعا إبهامه على فيه، فنظر محمد بن عمير بن عطارد التميمي، فقال: لعن الله هذا ولعن من أرسله إلينا، أرسل غلاما لا يستطيع أن ينطق عيا، وأخذ حصاة بيده ليحصيه بها، فقال له جليسه، لا تجعل حتى تنظر ما يصنع، فقام الحجاج فكشف لثامه عن وجهه وقال:

أنَا ابْنُ جَلاَ وطَلاَعُ الثَنايَا مَتَى أَضَعِ العِمَامَةَ تَعْرِفُونِي

صَلِيبُ العُودِ مِن سَلفي نِزَار كَنَصْلِ السَيفِ وضَاح الجَبِين

أخُو خَمْسِينَ مُجْتَمِع أَشّدي وَنَجِذني مُدَاورة الُشئون

أما والله إني لا أحمل الشر بحمله، وأحذوه بنعله، وأجزيه بمثله ....» [3]

تعد خطبته هذه من أشهر ما قاله الحجاج، فبواسطتها أدخل الرعب في قلوب جميع من كانوا في المسجد، فهي تنم عن قوة وقسوة الحجاج، ولقد استطاع الحجاج بشدته هذه أن يعيد الأمن والاستقرار إلى العراق خاصة وتثبيت الحكم الأموي فيها، وقد دامت ولاية الحجاج في العراق «عشرين سنة كاملة، فتح فيها فتوحات كثيرة، هائلة

---

[1] عماد الدين بن كثير: البداية والنهاية، ج1، ص1350.

[2] ينظر: محمود زيادة: الحجاج بن يوسف الثقفي المفتري عليه، دار السلام، (د،ب)، ط1، 1995م، ص ص82،83.

[3] ابن عبد ربه الأندلسي: العقد الفريد، تح/ عبد المجيد الترحيني، ج 5، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1 1983م، ص 278.

منتشرة، حتى وصلت خيوله إلى بلاد الهند والسند، ففتح فيها جملة مدن وأقاليم» [1] لتوسيع رقعة الدولة الإسلامية.

وقد توفي الحجاج في خمس وعشرين من رمضان من سنة خمس وتسعين للهجرة 95 هـ متأثرا بسرطان المعدة ودفن بمدينته التي أسسها واسط. [2]

3-الإطار الأدبي في العصر الأموي:

3-1-البيئة السياسية:

لم تكن الحياة السياسية في عصر بني أمية، خلال حكم خلفائها المتعاقبين حياة يسودها هدوء وطمأنينة واستقرار، بل سادها بعض الاضطراب والقلق، فقد «كان الأمويون يعدون في رأي كثير من الأمة الإسلامية غاصبين للخلافة، والبلد الوحيد الذي كان هادئا إلى حد ما هو الشام، فقد وجد أهله من بني أمية ورثة شرعيين» [3] وهذا التنافس حول الخلافة أحيا من جديد العصبيات القبلية التي اندثرت بعد مجيء الإسلام، كما قام بتقسيم العرب إلى العديد من الأحزاب السياسية أبرزها:

حزب الخوارج: يعد حزب الخوارج من أعرق الفرق الإسلامية، وسمو بالخوارج بسبب خروجهم على الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وقبولهم مبدأ التحكيم بينه وبين معاوية، فقد قال ابن قتيبة: «أقبلت الخوارج حتى إذا دنوا من الناس نادوا لا حكم إلا الله»[4]، ويرى هذا الحزب أن الخلافة حق مشترك بين المسلمين يتولاه الصالح للنهوض به.[5]

---

[1] عماد الدين بن كثير، البداية والنهاية، ج1، ص 278.

[2] ينظر: محمود زيادة: الحجاج بن يوسف الثقفي المفترى عليه، ص 411،412.

[3] شوقي ضيف: التطور والتجديد في الشعر الأموي، دار المعارف، بيروت، لبنان، ط 8، (د، ت)، ص 85.

[4] ابن قتيبة: الإمامة والسياسة: تح/ محمد محمود الرفاعي، مطبعة النيل، (د. ط)،1904 م، ص37.

[5] ينظر: شوقي ضيق، التطور والتجديد، ص 85.

حزب الزبيريين:

وهم أتباع عبد الله بن الزبير و«يتعلق تاريخه به حينما حاول أن ينال الخلافة ويحل نفسه محل الأسرة الأموية»[1]، ويرى عبد الله بن الزبير «أن تعود الخلافة إلى الحجاز وأن يتولاها أحد أبناء الصحابة الأولين لا يزيد بن معاوية.»[2]

حزب الأمويين:

عمل الأمويون على تبرير حكمهم، لأنهم كانوا يعدون الخلافة حقا ثابتا من حقوقهم وأنهم ورثوها عن عثمان رضي الله عنه. وقد دافع أتباع هذا الحزب عن خلفاء بني أمية وأنزلوهم منزلة عليا، «وقالوا إننا نطيع الخليفة ولو كان فاسقا، ونرجئ أمره إلى الله، فالله هو الذي يتولى حسابه»[3].

3-2-البيئة الاجتماعية:

عرفت الحياة الاجتماعية في أيام الدولة الأموية موجة تطور كبيرة، فقد صارت حضارة عظيمة بعد الفتوحات الإسلامية ويرجع سبب عظمتها إلى عاملين هما:

1-بيئة المسلمين الحديثة التي ساعدتهم على التحضر والتمدن، فقد كان العرب «من قبل هذا العصر يعيشون في الصحراء العربية التي لم تكن سخية بهم، وإنما كانوا يقاسون شظف العيش، ولم يكن لهم عهد بمرافق الترف الحضاري، حتى قد ظن بعضهم الخبز رقاعا للكتابة» [4].

---

[1] رياض عيسى:الحزبية السياسية منذ قيام الإسلام حتى سقوط الدولة الأموية، ص205.

[2] شوقي ضيف:التطور و التجديد،ص85.

[3] عمر فروخ : تاريخ الأدب العربي ،ج1،دار العلم للملايين،بيروت، لبنان،(د.ط)،2002م،ص353.

[4]سامي يوسف أبو زيد: الأدب الإسلامي والأموي، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2012 م ص 125.

وقد أشار ابن خلدون في مقدمته فقال: «ومثل هذا وقع للعرب لما كان الفتح وملكوا فارس والروم، واستخدموا بناتهم وأبنائهم، ولم يكونوا لذلك العهد في شيء من الحضارة، فقد حكي أنه قدم لهم المرفق، فكانوا يحسبونه رقاعا، وعثروا على الكافور في خزائن كسرى فاستعملوه في عجينهم ملحا» [1] لكن سرعان ما أضحت الدولة الأموية دولة متحضرة، فقد تطورت «بطور الحضارة والترف في الأحوال، واستجادة المطاعم والمشارب والملابس والمباني والأسلحة والفرش والآنية» [2].

كما ساهم خلفاء بني أمية في بناء «المساجد والدواوين والقصور، ومتنزهات و قلاع وحصون، فاتسع عمرانها وزادت حضارتها، وصارت موطنا رفيعا من مواطن الثقافة والأدب العربي في العالم الإسلامي» [3].

فشتان بين الهلال الخصيب في العراق والشام ووادي النيل، وبين صحراء الجزيرة العربية.

2-حركة الفتح الإسلامي التي بلغت أوجها في ذلك العصر، فقد شهدت الدولة الأموية أحداثا جليلة وفتوحات كثيرة منها:

فتح قتيبة بن مسلم سمرقند «كما أغار الأمويون في الشام على القسطنطينية عدة مرات، وشنوا الغارات السنوية على الأناضول وعلى جزر البحر الأبيض المتوسط: صقلية سردينيا، مالطة، واحتلوا قبرص وكريت ورودس، وهاجموا سواحل إيطاليا، وغزوا فرنسا الحر بن عبد الرحمن عام 99 هـ - 717 م» [4] كما قام موسى بن نصير بفتح الأندلس وكذلك «هاجم المسلمون في البحر جزيرتي (سنورقة، وميوزمة) قبالة ساحل الأندلس

---

[1] ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون، تح/ عبد الله محمد الدرويش، ج 1، دار يعرب لتوزيع، (د، ب)، ط1، 2004 م ص338.

[2] المصدر نفسه، ص نفسها.

[3] محمد عبد المنعم خفاجي، الأدب العربي وتاريخه في العصرين الأموي والعباسي، ص 5.

[4] المرجع نفسه، ص6.

الشرقي» [1].

فقد أسهمت هذه الفتوحات في اتساع الحضارة العربية في عصر بني أمية وفي نشر العقيدة واللغة العربية، وآدابها وكذلك التأثر بحضارة الأمم التي سطا سلطانهم عليها وبآدابها وعاداتها الاجتماعية.

أما الأثر البارز الذي يدل على الرخاء والترف في هذا العصر، فهو المدن الجديدة التي اختطت مثل مدينة واسط التي قام ببنائها الحجاج بين الكوفة والبصرة، واتخذها عاصمة له، كما اختط سليمان بن عبد الملك مدينة اللُّد بفلسطين، وبنى هشام بن عبد الملك مدينة الرصافة قرب تدمر. [2]

3-3-البيئة العقلية والثقافية:

كان للإسلام فضل كبير في إخراج العرب من دائرة البداوة إلى الرقي والتطور الحضاري، فقد كان له أثر بارز في نمو العقلية العربية وتفتحها على معطيات تعليمية « وعلى رأسها الحركة الدينية التي عنيت بتفسير القرآن الكريم ورواية الحديث الشريف كما عنيت بوضع قواعد الفقه الإسلامي الذي لم يقف به أصحابه عند أمور العبادات الدينية »[3] فقد راح علماء الفقه يؤسسون في كل بلدة كبيرة مدرسة فقهية، فكان في مكة عكرمة « الذي أسلم يوم الفتح وأقام بمكة »[4] وكذلك نجد بمكة كل من « عطاء وابن أبي مليكة، وفي المدينة سالم، ونافع، وعبيد الله بن عتبة، وعروة بن الزبير، والزهري»[5] ونجد في اليمين وهب بن منبه، وفي مصر الصاحبي، وفي البصرة ابن سيرين، وفي

---

[1]محمود شاكر: موسوعة الفتوحات الإسلامية، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، عمان، ط1، 2002م،ص 159.

[2]ينظر: سامي يوسف أبو زيد، الأدب الإسلامي والأموي، ص 125.

[3] شوقي ضيف: التطوير والتجديد في الشعر الأموي، ص 71.

[4]محمد بن سعد الزهري: الطبقات الكبير، تح /علي محمد عمر، ج 8، الناشر مكتبة الخانجي، القاهرة مصر، ط 1 2001 م، ص6.

[5]عبد المجيد حر: الأخطل شاعر الدولة الأموية، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1999 م، ص 47.

الكوفة النخعي والشعبي، وفي خرسان الضحاك بن مزاحم، أما في الشام فنجد شهر بن حوشب.

وقد أخذ هؤلاء الفقهاء يشرعون للناس في أمور دينهم ودنياهم، فأدى ذلك إلى اختلافهم في مسائل كثيرة، ففي بيئة الحجاز نجد أن الحديث غالب عليها، وفي بيئة العراق نجدها قد اشتهرت بغلبة القياس، وأدى ذلك إلى اختلافات كثيرة قامت بين البيئتين في الأحكام والآراء [1].

غير أن هذا التطور لم يقتصر على الحياة السياسية والاجتماعية والعقلية في البيئة العربية، بل تطورت هذه البيئة في جوانب أخرى، فقد أدت الفتوحات الإسلامية إلى اتصال الثقافات الأجنبية بالثقافة العربية، وقد استفاد العرب من هذه الثقافات الوافدة إليهم أيما استفادة، وأبرز ما تسرب إلى العرب من هذه الثقافات العلوم الفلسفية من خلال المراكز الثقافية وأهمها " الإسكندرية " التي كانت مركز الثقافة اليونانية، وقد انتشرت عن طريق العابرين وكتاباتهم المقدسة وخاصة القديس يوحنا الدمشقي.

كما نجد أن علوم الطب والكيمياء التي راجت في المدرسة الإسكندرية، وقد ساهم في رواجها خالد بن يزيد بن معاوية باستحضار آلاته وإنفاق المال الوافر في طلبها. [2]

أما في العراق وفارس فقد «التقت اللغة العربية بالأدب الفارسي القديم الذي تأثر بنزعات كثيرة، فتأثر بالأدب الهندي، وبالأدب الإغريقي، كذلك عن طريق مدرسة جنديسابو التي أنشأها سابور بن أردشير في القرن الثالث ميلادي،وصارت مركزا كبيرا للثقافة اليونانية»[3]

---

[1]ينظر: شوقي ضيف: التطور والتجديد في الشعر الأموي، ص71.

[2]ينظر سامي يوسف أبو زيد: الأدب الإسلامي والأموي، ص 128.

[3]محمد عبد المنعم خفاجي: الأدب العربي وتاريخه في العصرين الأموي والعباسي، ص 52.

ومما نلاحظه أن هذا التمازج بين الثقافة العربية والثقافات الأجنبية، ساهم في تطور البيئة العربية وتفتحها على آداب وثقافات الأمم الأخرى، كما أسهم في نشر الثقافة العربية في الدولة الأجنبية.

3-4-النثر الفني:

لم تخل ساحة القول للشعر وحده في الأدب العربي، بل احتل النثر أيضا مكانة مميزة في صدر الإسلام، وقد بلغ في العصر الأموي مستوى رفيعا من النضج والنماء فأخذ يزاحم الشعر في مكانته التي تربع عليها لسنين طويلة، وهذا راجع لطبيعة بعض أجناسه الكتابية ولضرورتها وأهميتها البالغتين في هذا العصر، وتتمثل أجناس النثر الفني في:

أ_الخطابة:

تعد الخطابة أولى الفنون النثرية في العصر الأموي، فهي «تأتي على رأس الأجناس ذات الصيغة الشفهية في الخطاب النثري» [1] وقد ازدهرت الخطابة في العصر الأموي ازدهارا كبيرا. «ولا يوجد في عصور اللغة عصر زها بالخطابة وحفل بالخطباء كهذا العصر لانحراف العرب عن الشعر إليها، واعتمادهم في الدين والسياسة عليها». [2]

وقد أسهم في تطور الخطابة عوامل كثيرة أبرزها:

الأحزاب السياسية والمذاهب الدينية وتناحرها فيما بينها، ليثبت كل فريق منها أنه على حق وأن منافسه على باطل، إلى جانب ذلك موهبة العرب البلاغية و فصاحتهم الفطرية.[3]

---

[1]مصطفى البشير قط: مفهوم النثر الفني وأجناسه في النقد العربي القديم، ديوان المطبوعات الجامعية للنشر ، بن عكنون، الجزائر، ط1، 2010 م، ص 89.

[2]أحمد حسن الزيات: تاريخ الأدب العربي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، الفجالة، القاهرة، ط1، (د ت) ص 1760.

[3]ينظر سامي يوسف أبو زيد، الأدب الإسلامي والأموي، ص 313.

و«لا شك أن ظهور الإسلام بالدعوة العظمى، من أهم الأسباب التي بلغت بالخطابة غاية كمالها». [1]

وقد نبغ في فن الخطابة الكثير من البلغاء والفصحاء، فمن الأمويين نجد معاوية بن أبي سفيان، وعبد الملك بن مروان، وسليمان بن عبد الملك. ومن ولاتهم، زياد بن أبيه والحجاج بن يوسف الثقفي، و قتيبة بن مسلم. ومن الخوارج قطري بن الفجاءة و أبو حمزة الإباضي، وكان إلى جانب هؤلاء عبد الله بن الزبير واخوه مصعب.[2]

ب_الكتابة:

كانت الكتابة ضرورة إدارية ملحة لا غنى عنها في إدارة شؤون الدولة والمجتمع والمكاتبات والدواوين المختلفة، وزادت الحاجة إليها بعد اتساع الدولة الإسلامية عن طريق «الفتوح وتفرق الولاة والعمال في الأقطار واحتاجت الدولة إلى أن تبلغ أولئك الولاة والعمال وغيرهم من أصحاب المناصب في الأمصار المختلفة أمورا تتعلق بالسياسة أو الإدارة، فحدثت كتابة الرسائل» [3]

وقد كان لمن يشتغل بالكتابة مكانة رفيعة عند الناس، لذلك نجد "سعيد بن العاص" يردد قوله: «من لم يكتب فيمينه يسرى» [4]، ونجد كذلك "المؤيد" يقول: «الكتابة أشرف مناصب الدنيا بعد الخلافة إليها ينتهي الفضل، وعندها تقف الرغبة». [5]

وقد تجلت بواكير الكتابة في أواخر العصر الأموي، بفضل موهبة " عبد الحميد بن يحي الكاتب". لأنه كان شديد الاتصال بالثقافة اليونانية، وهذا ما يؤكده "طه حسين"

---

[1]قصي الحسين: تاريخ الأدب العربي والعصر الأموي، دار مكتبة الهلال، بيروت، لبنان، ط1 ،1998م، ص214.

[2] ينظر: محمد عبد المنعم خفاجي: الأدب العربي وتاريخه في العصرين الأموي والعباسي، ص 240.

[3]عمر فروخ: تاريخ الأدب العربي، ج1،دار العلم للملايين ،بيروت ، لبنان،ط1981،4 م،ص: 373.

[4]ابن العباس أحمد القلقشند، صبح الأعشى، ج 1، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، مصر،(د.ط)، 1922 م ص37.

[5]المصدر نفسه، ص نفسها.

بقول: «ولعبد الحميد خاصة لغوية أو فنية، هي التي تحملني على أن أرجح أنه كان شديد الاتصال باليونان». [1]

وكانت الكتابة في العصر الأموي تعرف بالرسائل، وقد جعل لها ديوان خاص سمي بديوان الرسائل وكان لهذا الديوان رئيس يسمى الكاتب وقد كانت مهمته إنشاء الرسائل التي كان الخليفة يبعث بها إلى الولاة والعمال أو إلى الملوك الآخرين. [2]

ثم تطورت الرسالة وأصبحت صناعة ذات قواعد وأصول، فأصبح لها مطالع بها تحميدات تختلف باختلاف المقام، ولها كذلك خواتيم تختلف أيضا بحسب ذلك، ونجد في متن الرسالة أشياء من السجع والموازنة، ومن التأنق في التعابير والجمل، إلا أن التراسل ظل فنا رسميا يتعلق بأمور الدولة. [3]

ولقد برز في الكتابة الفنية لون جديد منها، ظهر بوضوح في هذا العصر، يتمثل في فن التوقيعات وهو الكتابة على هوامش الرسائل التي ترفع إلى الخلفاء والولاة وذوي الشأن بما يفيد العلم به، وتميز هذا الفن بالإيجاز، ولطف الإشارة، وقوة الإثارة وكثيرا ما يكون التوقيع آية مقدسة، أو حديثا مرويا أو حكمة أو مثلا أو بيتا من الشعر [4]

مما نلاحظ أن النثر الفني مرتبط بحياة الأمم والشعوب ارتباطا مباشرا فهو ينمو بنموها ويموت بموتها، لذلك نجده في العصر الأموي تطور وازدهر، لأن هذا العصر كان حافلا بحركة نشطة على جميع المستويات السياسية والاجتماعية والفكرية والثقافية أسهمت في رقي هذا الفن خاصة في جنسية الخطابة والرسائل على غرار العصرين السابقين.

---

[1] طه حسين: من حديث الشعر والنثر، دار المعارف،القاهرة، مصر، (د، ط) (د، ت) ص 43.

[2] ينظر: عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي، ص 375.

[3] ينظر: المرجع نفسه، ص نفسها.

[4] ينظر: محمد عبد المنعم خفاجي، الأدب العربي وتاريخه في العصرين الأموي والعباسي ص 272.

4-تعريف علم البيان في اللغة العربية:

أشار القرآن الكريم إلى البيان إشارات كثيرة منها قوله تعالى:﴿ هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[1] وكذلك قوله تعالى:﴿ الرَّحْمَنُ (1) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (2) خَلَقَ الإِنسَانَ (3) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾[2].

ومن الحديث الشريف قوله صلى الله عليه وسلم: (إن من البيان لسحرا). [3]

ولعل " الجاحظ " كان من علماء اللغة العربية الأولين الذين نظروا في معنى البيان حيث نجده قد سمى أحد كتبه البيان والتبيين، وتحدث فيه عن البيان فقال: «البيان اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى، وهتك الحجاب دون الضمير، حتى يفضي السامع إلى حقيقته، ويهجم على محصوله كائنا من كان ذلك البيان، ومن أي جنس كان ذلك الدليل، لأن مدار الأمر، والغاية التي إليها يجري القائل والسامع، إنما هو الفهم والإفهام فبأي شيء بلغت الإفهام، وأوضحت عن المعنى، فذلك هو البيان في ذلك الموضع» [4]

ويعرفه " ابن رشيق " بقوله: «الكشف عن المعنى حتى تدركه النفس من غير عقله وإنما قيل ذلك لأنه قد يأتي التعقيد في الكلام الذي يدل ولا يستحق اسم البيان». [5]

---

[1]سورة آل عمران، الآية: 138.

[2]سورة الرحمن، الآية: (1 – 4).

[3]ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث والأثر، تح /علي بن حسن الحلبي، دار بن الجوزي للنشر والتوزيع، جدة السعودية، ط1، (د.ت)، ص 420.

[4]الجاحظ: البيان والتبيين، تح /علي أبو ملحم، مج 1، دار مكتبة الهلال، بيروت، لبنان، ط2، 1922 م، ص 82.

[5]ابن رشيق القيرواني : العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تح/ محمد محي الدين عبد الحميد، ج 1، دار جيل للنشر والتوزيع والطباعة، ط5 ،1981 م، ص254.

أما " القزويني " فقد عرف البيان بقوله: «علم يعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة من تشبيه واستعارة ومجاز مرسل وكناية». [1]

وما نلاحظه من خلال هذه التعريفات أن البيان ملكة يهبها الله تعالى لمن يشاء من عباده. أما فيما يخص المعنى فكلها تصب في معاني هي: الإفصاح والكشف والفهم وإظهار المقصود.

[1] الخطيب القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع ،تح/ إبراهيم شمس الدين ،دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1 ،2003م،ص5.

الفصل الأول: فن الخطابة في العصر الأموي

1- مفهوم الخطابة

1-1-الخطابة عند العرب

1-2 -الخطابة عند الغرب

2-خصائص الخطابة و صفات الخطيب

2-1- خصائص الخطابة

2-2-صفات الخطيب

3- من أعلام الخطابة في العصر الأموي

3-1- زياد بن أبيه

3-2- أبو حمزة الشاري

1- مفهوم الخطابة:

1-1-الخطابة عند العرب:

وردت كلمة " الخطابة " في المعاجم العربية بدلالات مختلفة، لكننا في هذا التعريف سنركز على المعنى القريب والدقيق للخطابة.

يذكر ابن منظور في المفهوم اللغوي للخطابة فيقول: « يقال: خطب فلان إلى فلان فخطبه واخطبه أي أجابه، والخطاب والمخاطب، مراجعة الكلام، وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطابا وهما يتخاطبان.والخطبة مصدر الخطيب، وخطب الخاطب على المنبر واختطب يخطب خطابة، واسم الكلام. وذهب أبو إسحاق إلى أن الخطبة عند العرب: الكلام المنثور المسجع»[1]

وجاء في " قاموس المحيط " أن الخطابة هي: « خطب الخاطب على المنبر خطابة بالفتح وخطبته بالضم وذلك الكلام أيضا، أو هي الكلام المنثور المسجع ونحوه، ورجل خطيب حسن الخطبة»[2]

ويعرفها " بطرس البستاني " بقوله: «الخطبة كلام الخطيب أي اسم لما يخطب به الكلام، وقيل الخطبة من الخطب لأنهم كانوا لا يخطبون إلا في أمر عظيم، وقيل هي الكلام المنثور المسجع.»[3]

أما الخطابة في الاصطلاح فهي: « فن مشافهة الجمهور وإقناعه واستمالته.

فلا بد من مشافهة، وإلا كانت كتابة أو شعرا مدونا ولا بد من جمهور يستمع وإلا

---

[1]ابن منظور: لسان العرب، مادة " خطبة " ، تح /عبد الله على الكبير ومحمد أحمد حسب الله وآخرون، دار المعارف، القاهرة، مصر، (د. ط) (د .ت) ،ص ص1194، 1195.

[2]الفيروز آبادي: قاموس المحيط، تح/ محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت لبنان، ط 8 ، 2005م، ص 81.

[3]بطرس البستاني: محيط المحيط ، مكتبة لبنان ، بيروت، لبنان، (د .ط)، 1987 م، ص241.

كان الكلام حديثا أو وصية ولا بد من الإقناع، وذلك بأن يوضح الخطيب رأيه للسامعين ويؤيده بالبراهين ليعتقوه كما اعتقده.

ثم لا بد من الاستمالة، والمراد بها أن يهيج الخطيب نفوس سامعيه أو يهدئها ويقبض على زمام عواطفهم يتصرف بها كيف ما شاء، سارا أو محزنا، مضحكا أو مبكيا، داعيا إلى الثورة أو إلى السكينة»[1]

ومما نستخلصه من خلال هذا التعريف، أن الخطابة تتأسس على أربعة عناصرها هي: المشافهة، والجمهور، الإقناع، الاستمالة.

كما يعرفها ابن خلدون يقول: « وليس من علم الخطابة الذي هو أحد العلوم المنطقية فإن موضوع الخطابة إنما هو الأقوال المقنعة النافعة في استمالة الجمهور إلى رأي أو صدهم عنه ».[2]

وهناك من يرى أن الخطابة هي: « مجموع قوانين تعرف الدارس طرق التأثير بالكلام وحسن الإقناع بالخطاب، فهو يعني بدراسة طرق التأثير ووسائل الإقناع وما يجب أن يكون عليه الخطيب من صفات وما ينبغي أن يتجه إليه من المعاني في الموضوعات المختلفة»[3]

ما يشد انتباهنا في هذا التعريف أن الخطابة تعد علم من العلوم له قوانينه وقواعده ووسائله، يجب على الخطيب أتباعها للوصول إلى مبتغاه.

---

[1]أحمد محمد الحوفي: فن الخطابة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة، مصر، (د. ط) ، 2002م ص 5.

[2]ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون،ج1 ،ص: 128.

[3] محمد أبو زهرة: الخطابة أصولها تاريخها في أزهر عصورها عند العرب، تح /أحمد إبراهيم بك، مطبعة العلوم للنشر والتوزيع، (د ، ب) ، ط 1 ، 1944 م ، ص : 1.

أما أبو هلال العسكري، فنجده قد أشار إلى شكل الخطابة فقال: « واعلم أن الرسائل والخطب متشاكلتان في أنهما كلام لا يلحقه وزن ولا تقفية» [1]

ما نلحظه من خلال هذا تعريف، أن الخطابة هي كلام منثور يخلو من الوزن والقافية، وهو هنا يفرق بين الشعر والنثر، باعتبار أن الشعر كلام موزن مقفى على عكس النثر الذي يعد كلام منثور لا يوجد به لا وزن ولا قافية.

1-2-الخطابة عند الغرب:

ورد تعريف الخطابة في الثقافة اليونانية، وأبرز تعريف لها هو الذي قدمه أرسطو Aristote والذي يقول فيه:«الريطورية[2] قوة تتكلف الإقناع الممكن في كل واحد من الأمور المفردة»[3]

ما يقصده " أرسطو " من خلال هذا التعريف أن الخطابة هي: « ملكة راسخة في نفس المتكلم يقتدر بها على التصرف في فنون القول بهدف التأثير في المخاطب وإقناعه بأبلغ الطرق والسبل الممكنة، تأثير لا يختص بموضوع محدد، وإنما يشمل جميع الأشياء»[4]

وقد عبر " جورجياسGorgiasعن الخطابة بقوله: « هي الفن الحقيقي والأسلوب الصحيح في التفكير وأن المعرفة الحقيقية هي تلك المتمثلة في الخطابة».[5]

نجد أن جورجياس يرى الخطابة كفن أو علم هي: «مجرد تقنية يمكن أن تنتج

---

[1] أبو هلال العسكري: الصناعتين الكتابة والشعر، تح /علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار أحياء الكتب العربية، (د ، ب) ط1 ،1952 م ، ص 136.

[2]تعني صناعة الخطابة.

[3]أرسطو طاليس: الخطابة ، تح /عبد الرحمان بدري، دار القلم ، بيروت، لبنان، (د، ط) ،1979م، ص 9.

[4] كمال الزماني: حجاجية الصورة في الخطابة السياسية لدى الإمام علي رضي الله عنه، عالم الكتب الحديث، إربد الأردن ، ط1،2012 م ،ص148.

[5] الزواوي بغورة: الفلسفة واللغة والنقد ، المنعطف اللغوي في الفلسفة المعاصرة، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت لبنان، ط 1 ،2005 م،ص12.

الرأي الصحيح أو الرأي الخاطئ».[1]

بعد كل ما تقدم يمكن أن تقول أن الخطابة أشد الأنواع الأدبية التزاما فهي فن نثري له قوانينه وقواعده ووسائله هدفه التأثير في جمهور المستمعين وإقناعهم بالبراهين والحجج.

2-خصائص الخطابة وصفات الخطيب:

2-1-خصائص الخطابة:

اتسمت الخطابة في العصر الأموي بخصائص ميزتها بعض الشيء عن الخطابة في صدر الإسلام ويمكننا حصرها فيما يلي:

2-1-1-إعداد الخطبة:

كان الخطباء الأمويون يعتنون بإعداد خطبهم و تجويدها و تنميقها: «و تأني في صوغها والتدبير في ترتيب أجزائها،و تنسيق أفكارها، وتأنق في أسلوبها»[2].حتى تأتي بالصورة التي يريدونها،وآثار الاستعداد للخطبة واضحة في قول عبد الله بن زياد :« و كان خطيبا على لكنة كانت فيه : نعم الشيء الإشارة ، لولا قعقعة البرد[3] و التشرن[4] للخطب».[5]

وفي هذا الصدر نجد كذلك رد عبد الملك بن مروان حين قيل له:«عجل عليك الشيب يا أمير المؤمنين !.قال: و كيف لا يعجل علي و أنا أعرض عقلي على الناس في كل جمعة مرة أو مرتين»[6].

---

[1] الزواوي بغورة :المنعطف اللغوي في الفلسفة المعاصرة ،ص 13.

[2]أحمد محمد الحوفي: أدب السياسة في العصر الأموي ، نهضة مصر للطباعة، القاهرة، مصر، ط6 ،2007 م ص273.

[3]البريد وهو الرسل على دواة البريد.

[4]التأهب و التهيؤ للشيء و الاستعداد له.

[5]الجاحظ : البيان و التبيين ، ج2،ص 98.

[6]المصدر نفسه: ص نفسها.

نفهم مما سبق أن الخطباء كانوا يُعدون خطبهم، ويستعدون لمخاطبة الناس بكلام بليغ وعلى قدر كبير من الأهمية والقيمة.

لذلك نجد أن خطبهم جاءت:«موحدة الموضوع، مرتبة الأفكار، جيدة الأسلوب، متوازنة الجمل، معتمدة على أنواع من الخيال، بها سجع مقصود، لكنة غير مستكره ولا متكلف ،...، مثل خطبة الحجاج و خطبة أبي حمزة بالمدينة.»[1].

2-1-2-أجزائها:

2-1-2-1-المقدمة.

هي الكلام الذي يفتح به الخطيب خطبته:«لشد انتباه السامعين نحوه ولتهيئتهم للإقبال عليه و السماع لما سيقوله لهم. وهي كما قلنا ليست حتمية في كل خطبة.»[2]، كما أنها ليست شكلا واحدا في جميع الخطب، بل تعددت أنواعها و اختلفت و يمكن حصرها فيما يـلي :

أ) المقدمة النبوية:

تبدأ هذه المقدمة: «بحمد الله و الثناء عليه و الصلاة و السلام على رسوله».[3] وقد سميت الخطبة التي:«لا يذكر الله في أولها:بالبتراء.»[4].و التي لا توشح بالقرآن «بالشوهاء»،يقول الجاحظ:«وعلى أن خطباء السلف الطيب، وأهل البيان من التابعين بإحسان، مازالوا يسمون الخطبة التي لم تبدأ بالتحميد،و تستفتح بالتمجيد:«البتراء» ويسمون التي لم توشح بالقرآن، وتزين بالصلاة على النبي صلى الله علي وسلم:«الشوهاء».»[5]

---

[1]أحمد محمد الحوفي، أدب السياسة في العصر الأموي، ص 274.

[2]عبد الجليل عبده شلبي: الخطابة و إعداد الخطيب، دار الشروق ، القاهرة، مصر ، ط2، 1986م، ص 44.

[3] أحمد محمد الحوفي: أدب السياسة في العصر الأموي، ص 107.

[4] قدامة بن جعفر: نقد النثر، تح/ طه حسين بك وعبد الحميد العبادي، مطبعة الأميرية بولاق، القاهرة، مصر ،(دط) 1941م، ص 107.

[5]الجاحظ: البيان والتبيين، ج2،ص 6 .

ب) المقدمة الشعرية:

هناك من الخطباء من افتتح خطبته بمقدمة شعرية دون بسملة وحمدلة ولا صلاة على النبي، كما فعل الحجاج بن يوسف الثقفي في خطبته حين ولى العراق فقال:

أنَا ابن جَلاَ وطَلاَعُ الثنَايَا مَتَى أضَعِ العمامة تَعرِفُونِي

صَلِيبُ العُودِ من سلفي نِزَار كَنَصلِ السَيف و ضَاح الجَبِين

أخُو خَمسِين مُجتمع أشّدي و نَجدِنيَ مُدَاورةُ الشؤون .[1]

يرى شوقي ضيف في افتتاح الحجاج لخطبته بأبيات شعرية، أنها:«تصور فصاحته وبلاغته و حفظه للشعر الغريب، إذا اتخذه مقدمة لكلامه، و كأنما يجعله فاتحة موسيقية له وهي فاتحة يتبدى فيها، و يطلب التشبه بالبدو لا في لغته فحسب بل أيضا في ثيابه حتى يغرب على السامعين و يروعهم»[2].

ج) المقدمة المحذوفة:

قد يستغني الخطيب عن المقدمة و يشرع مباشرة في موضوع الخطبة، ويقول أحمد الحوفي:«قد يبدأ الخطيب بالموضوع مباشرة»[3]،بدون مقدمة، ونرى ذلك خاصة في خطب الحجاج، فهي معظمها خالية من المقدمة، وإن وجدت فهي قصيرة ،ثم يبدأ بالموضوع مباشر مثل خطبته التي أرجف بها أهل العراق حينما سمع إشاعة موته ويقول المسعودي:«مرض الحجاج فأرجف أهل الكوفة، فلما تماثل من علته صعد المنبر وهو يثني على أعواده فقال: إن أهل الشقاق و النفاق نفخ الشيطان في مناخرهم فقالوا: مات الحجاج.و مات الحجاج فمه؟ والله ما أرجو الخير كله إلا بعد الموت، و ما رضي الله الخلود لأحد من خلقه في الدنيا إلا لأهونهم عليه (هو) إبليس...»[4].

---

[1]ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج5، ص278.

[2]شوقي ضيف: الفن و مذهبه في النثر العربي، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط9، 1960م، ص ص 83،84.

[3]أحمد محمد الحوفي :فن الخطابة، ص217.

[4] أبو الحسن على المسعودي: مروج الذهب و معادن الجوهر، تح/ كمال حسن مرعي، ج3، المكتبة العصرية، صيدا بيروت ، ط1، 2005م، ص11.

د) مقدمات أخرى:

قد يعمد الخطيب إلى افتتاح خطبته :«بالتهديد و الوعيد ، لتنبئ عن غضب الخطيب وترهب السامعين بشديد عقابه»[1].مثل خطبة الحجاج «لما قدم البصرة يهدد أهل العراق ويتوعدهم : أيها الناس، من أعياه داؤه فعندي دواؤه و من استطال أجله، فعلي أن أعجله ومن ثقل عليه رأسهُ، وضعت عنه ثقله ،ومن استطال مَاضي عمره قصرت عليه باقيه إنّ للشيطان طَيْفاً، وللسلطان سيْفاً!».[2]

وقد تبدأ الخطبة «بالشتم والتوبيخ، لأنّ المقام مقام تقريع وتأنيب».[3] كخطبة زياد بن أبيه «حين قدم إلى البصرة قال :أما بعد فإن الجهالة الجَهْلاء، والضّلالة العمياء، والغَيَّ المُوفى بأهله على النار ما فيه سُفهاؤكم، ويشتمل عليه خلفاؤكم من الأمور التي ينبت فيها الصغير، ولا يتحاشى عنها الكبير، كأنكم لم تقرءوا كتاب اللّه ولم تسمعوا ما أعدّ من الثواب الكريم لأهل طاعته، والعذاب الأليم لأهل معصيته...».[4]

فالمقام أحيانا هو الذّي يفرض على الخطيب أن يعمد إلى هذه المقدمات.لأن لكل مقام مقال، وهذا ما رواه الجاحظ عن كلام بشر بن المعتمر حينما أشار إلى المقام فقال:«خُذْ من نفسك ساعة نشاطك وفراغ بالك وإجابتها إياك، فإن قليل تلك الساعة أكرَمُ جوهرًا وأشرف حسَباً وأحسن في الأسماع، وأحَلى في الصدور، وأسلم من فاحش الخطأ،...، وإنما مَدَارُ الشرف على الصواب وإحراز المنفعة، مع موافقة الحال، وما يجب لكلّ مقام من مقال...».[5]

---

[1] أحمد محمد الحوفي : أدب السياسة في العصر الأموي ، ص 275.

[2] ابن العباس أحمد القلقشند: صبح الأعشى، ج1، ص 220.

[3] أحمد محمد الحوفي: أدب السياسة في العصر الأموي، ص 275.

[4] ابن العباس أحمد القلقشند: صبح الأعشى، ج1، ص ،ص 216،217.

[5] الجاحظ: البيان والتبيين،ج1، ص 98.

2-1-2-2-العرض:

يمثل العرض العنصر الأساسي في أجزاء الخطبة، وهو يحتل الحيز الأكبر منها ومن غير الممكن الاستغناء عنه، ففيه يعرض الخطيب القضايا والمشاكل مبينا فيها وجهة نظره المدعومة بالحجج والبراهين. يعرفه عبد الجليل شلبي يقوله:«وهذا الجزء- كما هو واضح أهم أجزاء الخطبة أو عمودها الفقري و كيانها، فالأجزاء الأخرى يمكن الاستغناء عنها أما هذا الجزء فهو الأساس و بقية الأجزاء جيء بها من أجله، و مهمتها هي إنجاحه و تثبيت أثاره».[1]

وقد وضعت جملة من الشروط تتعلق بالعرض حتى يحقق الغرض الذي وضع من أجله وهي كالآتي: وحدة الموضوع، ترتيب الكلام وترتيب الأفكار، فيبدأ أولا بالفكرة البسيطة ثم يتدرج حتى يصل إلى قمة ما يريده وهي الفكرة الأساسية، استعمال أدلة ظنية تكون واضحة قريبة متصلة بما عرضه في موضوعه، اعتماده على المشاركة الوجدانية وإثارة العاطفة، أكثر مما يعتمد على براهين المنطق وأقيسته لإثارة حماس سامعيه ويهيجهم نحو عمل ما، من غير أن تكون الفكرة قد درست في نفوسهم درسا منطقيا سليما. كما يجب أن تكون الخطبة واضحة[2]، «فالوضوح، هو أساس الخطبة الناجحة.»[3]

2-1-2-3- الخاتمة :

وهي أخر أجزاء الخطبة أو النص، يضمنها الخطيب بأهم النقاط أو النتائج التي توصل إليها في خطبته حتى تبقى في أذان المستمعين،يقول ديل كارنيج Carnegie

---

[1]عبد الجليل عبده شلبي: الخطابة وإعداد الخطيب، ص 49.

[2]ينظر: المرجع نفسه، ص ص 50،51.

[3]أحمد محمد الحوفي، فن الخطابة ، ص 125.

Dell:«إن الخاتمة في الحقيقة هي أكثر النقاط إستراتيجية في الخطاب. فما يقوله الإنسان في النهاية.هو ما يبقى يرن في أذان المستمعين». [1]

وقد تعدد أنواع الخاتمة من خطبة إلى أخرى يمكن حصرها فيما يلي:

يعمد الخطيب أحياناً إلى ختم خطبته بالاستغفار لنفسه وللسامعين، ومن نماذج هذه الخاتمة خطبة يزيد بن الوليد لمّا قَتل بن عمّه الوليد بن يزيد بن عبد الملك فقال:«أيُّها الناس: لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.أقول قولي هذا وأستغفر اللّه لي ولكم».[2]

ومن نماذج الخاتمة أيضاً، أنّ تختتم«بالدّعاء للسامعين أو لغيرهم، أو للخليفة»،[3]مثل خطبة الحجاج الوعظية التي ابتدأها يقوله: «أيَّها النّاس قد أصبحتم في أجل مَنْقوص وعمل محفوظ، رُبَّ دائب مَضيع(...)» ، ثم ختمها بالدعاء يقول: «جَعَلَنَا الله وإيِّاكُم مِنَ الذِّين إذا ذُكِّرُوا بآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهاَ صُمًّا وعُمْيَاناً»[4].وهو هنا يدعوا لنفسه ولسامعين بأن يجعلهم الله من الذين يتذكرون إذا ذكروا بآيات الله عز وجل.

وقد تأتي الخاتمة أحياناً عبارة عن أبيات شعرية،كما قال أحمد الحوفي: «ربما جاء الختام شعرًا».[5]ككخطبة الحجاج لما مات ولده محمد وأخيه محمد في يوم واحد ،التي ختمها بأبيات شعرية فقال:

عزائي نبيُّ اللّه من كل ميتٍ وحسْبي ثوابُ الله من كل هالِكِ

إذا ما لقيتُ الله عنيَ رَاضيًا فإن سرُورَ النفس فيها هنالك.[6]

وقد يختم الخطيب خطبته «بآية من القرآن الكريم».[7]

---

[1] ديل كارنيجي: فن الخطابة، الوسام للخدمات المطبعية،عمان، الأردن، ط1 ، ص 127.

[2] أحمد محمد الحوفي: أدب السياسة في العصر الأموي، ص277.

[3] أحمد زكي صفوت: جهرة خطب العرب، ج2، مطبعة مصطفي البابي الحلبي وأولاده، (د.ب)، ط1، 1923م ص287.

[4] المرجع نفسه، ص295.

[5]أحمد محمد الحوفي: أدب السياسة في العصر الأموي، ص277.

[6]أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب،ج2، ص 286.

[7]أحمده محمد الحوفي: أدب السياسة في العصر الأموي، : 277.

ومثال ذلك خطبة الحجاج في أهل الشام بعدِما فرغ من أهل العراق فقال:«بل أنتم بأهل الشام كما قال الله سبحانه،﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ (171) إِنَّهُمْ لَهُمْ الْمَنصُورُونَ (172) وَإِنَّ جُندَنَا لَهُم الْغَالِبُونَ ﴾[1]ثم نزل».[2]

2-1-3-التأثر بالقرآن الكريم:

اتسمتّ الخطابة في هذا العصر بكثرة اقتباسها من القرآن الكريم، لذلك نجد الخطيب «شديدّ العناية بتضمينها بعض الآيات القرآنية».[3] فالخطبة الخالية من القرآن الكريم تسمى"الشوّهاء"، يقول الجاحظ:«ويسمّون التي لم توشح بالقرآن، وتزين بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم: الشوهاء»[4]، ويقول أحمد الحوفي مبرراً سبب اقتباس الخطباء من القرآن الكريم:«وإنّما عمد الخطباء إلى الاقتباس، لأنّهم متذوقون لبلاغة القرآن، فهم يجدون في هذه الآيات تعبيرًا صادقاً عمّا يريدون أن يقولوا، ثم لأنّهم يعرفون استجابة سامعيهم للبلاغة، فيضيفون إلى بلاغتهم وإلى تأثيرهم الخطابي ذخيرة من البلاغة ومن السلطان».[5]

ومن أمثلة الاقتباس نجد قول عتبة بن أبي سفيان: «يا أهل مصر: حَفّ على ألسنتكم مدْح الحق ولا تفعلونه ، وذّم الباطل وأنتم تأتونه، كالحمار يحمل أسفاراً، أثقله حملها، ولم ينفعه علمها» [6]، اقتبسها من قوله تعالى ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾.[7]

---

[1]سورة الصافات، الآية: 171-173.

[2]أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب،ج2، ص 281.

[3]حنا الفاخوري: الجامع في تاريخ الأدب العربي، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط1، 1986م، ص338.

[4]الجاحظ: البيان والتبيين، ج2، ص6.

[5]أحمد محمد الحوفي: فن الخطابة، ص226.

[6]أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب،ج2، ص 210.

[7]سورة الجمعة، الآية: 5.

وهناك من الخطباء من يقتبسون بعض المعاني من القرآن الكريم،وقد يكون هذا الاقتباس متعمدا من الخطباء، ليفخموا بها أقوالهم، ويجذبوا بها نفوس سامعيهم، أو غير متعمد و إنما جرت على ألسنتهم، لأنهم حفظوا القرآن وفهموه فتأثروا به.[1]

ومن أمثلة هذا الاقتباس، نجد قول الحسين بن علي رضي الله عنهما في رده على الذّين استنكروا صلحه مع معاوية بن أبي سفيان :«سأَلّنا الله العزيمة على رشدنا، والمعونة على أمرّنا، وأنّ لا يكلنا إلى أنفسها».[2]فقوله هذا يذكرنا بقوله تعالي:﴿لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾[3]

غير أن خطبة مصعب بن الزبير التي خطبها حينما بعثه عبد الله بن الزبير واليا على البصرة، كانت كلها من القرآن الكريم. فقد "صعد المنبر، وحمد الله، وأثنى عليه، ثم قال:(بسم الله الرحمن الرحيم)﴿طسم (1) تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ (2) نَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ نَبَإِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (3) إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلا فِي الأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعاً يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِ نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنْ الْمُفْسِدِينَ ﴾[4]«وأشار بيده نحو الشام»﴿ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمْ الْوَارِثِينَ ﴾[5] ...».[6]

2-1-4-الاستشهاد بالشعر:

أكثر الخطباء في هذا العصر من الاستشهاد بالشعر في خطبهم، فنجدهم يذكرون بيتًا أو بيتين من الشعر، أو يأخذون من عباراته ومعانيه،يقول أحمد الحوفي:«يكثر في

---

[1] ينظر:أحمد محمد الحوفي، فن الخطابة، ص229.

[2] أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب،ج2، ص 10.

[3] سورة البقرة، الآية:286.

[4] سورة القصص، الآية : 1-4.

[5] سورة القصص، الآية: 5.

[6] أحمد محمد صفوت: جمرة خطب العرب،ج2، ص171.

الخطب الاستشهاد بالشعر، أو الاقتباس من عباراته ومعانيه. وَمَرَدُّ هذا إلى أن الشعر كان من أصول الثقافة، وكان تأثيره في نفوس الناس بعيد المدى». والأمثلة على ذلك كثيرة نذكر منها: خطبة الحجاج بالكوفة التي استشهد فيها بشعر كلٍّ من سحبان بن وائل[1] وثيل الرياحي:

أنَا ابن جَلاَ وطَلاَع الثنايَا مَتَى أضَعِ العمامة تَعرِفُونِي.[2]

وكذلك رشيد بن رميض العنبري:

هذا أوانُ الشَّد فاشتدَّي زيَمْ قد لَفّها الليلُ بسَوَّاق حُطَمْ

ليس براعي إبل ولا غَنَمْ ولا بجزّار على ظهر وَضَمْ[3]

واستشهد كذلك عبد الملك بن مروان في خطبته لما دخل الكوفة بعد قتل مصعب بن الزبير بشعر لقيس ابن رفاعة:

من يَصْلَ ناري بلا ذنب ولا تِرَةِ يصْلَ بنار كريم غير غدَّار

أنا النذير لكم من مجاَهـرةً كـي لا أُلام على نهى وإنذار

فإن عصيتم مَقَالي اليوم فاعترفو أنْ سوف تلقون خِزْيًا ظاهر العار[4]

2-1-5-التخييل والتصوير:

تعدّ الخطابة من أهم وسائل تبليغ الأفكار للآخرين، وأداة بارزة في إقناع السامعين واستمالتهم والتأثير فيهم، ولتحقيق ذلك عمد الخطباء إلى توظيف عنصري الخيال والتصوير الفني في خطبهم، وذلك«لإبراز أفكارهم وتوضيحها وتجسيمها في قوالب من

---

(1) سحبان بن زفير بن ألياس بن وائل ،خطيب مخضرم من وائل أسلم في زمن النبي صلى الله عليه وسلم ،عاش مدة عند معاوية بن أبي سفيان بدمشق ،وقيل أنه عمر مائة و ثمانين سنة.

(2)الجاحظ: البيان والتبيين، ج2،ص 202.

(3)المصدر نفسه،ص نفسها.

(4)أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب،ج2، ص 183.

التخييل،ومن التضاد»[1]، فالصورة الفنية عنصر من عناصر التأثير الوجداني على السامعين ومن نماذج الصورة الفنية نجد:

التشبيه: مثل قول عبد الملك بن مروان:«فأُصَمِّمَ تَصْمِيمَ الحُسَامِ المطور، وأصُول صيال الحنق الموتور»[2].

الاستعارة: مثل قول الحسين بن علي رضي الله عنهما:«إن نقضتم عهدكم، وخلعتم بيعتي من أعناقكم، فلعمري ما هي لكم بنكر»[3].

الكناية: كقول عبد الله بن مطيع:«خذوا على أيدّي سفهائكم»[4].

2-1-6-التعبير:

إنّ الخطابة فن من فنون القول، تقوم أساسا على اللغة؛ أيّ التعبير. لذلك نجد الخطباء في هذا العصر حريصين«على انتقاء الألفاظ الجزلة، والتراكيب القوية البعيدة عن التكلف والتصنع»[5]في خطبهم، وقد اتسم تعبيرهم بعدّة مميزات نجملها فيمايلي:قوة العبارة وحرارتها، قصر الجمل ليشتد وقعها ويتلاحق تأثيرها، العناية بالوقع والرنين ، يغلب على خطبهم الإيجاز المعتدل، ويقل فيها التوسط القريب من الطول، وتندر فيها الخطب المسهبة المطولة[6].

ومن نماذج ذلك نجد قول الحسن بن علي رضي الله عنهما في ردّه على معاوية: «أيهّا الذاكر عليًّا:أنا الحسن، وأبي علّي وأنت معاوية، وأبوك صخر،وأمي فاطمة، و أمك

---

[1] أحمد محمد الحوفي: فن الخطابة،ص220.

[2] أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب، ج2، ص 182.

[3] المرجع نفسه، ج2، ص 40.

[4] المرجع نفسه،ج2،ص 68.

[5] سامي يوسف أبو زيد: الأدب الإسلامي والأموي، : 335.

[6] ينظر: أحمد محمد الحوفي: أدب السياسة في العصر الأموي، ص 282،284.

هند، وجدِّي رسول الله صلى الله عليه وسلّم، وجدّك عُتْبة ابن ربيعة، وجدتي خديجة وجدتك قُتَيْلة،(...)».[1]

وما نلحظه في هذا الخطبة، أنّ جملها جاءت قصيرة، متعاقبة في تأثيرها، تنم عن مشاعر هائجة.

كانت هذه أهم الخصائص التي اتسمت بها الخطابة في العصر الأموي، أما الآن فسنأتي على ذكر أهم الصفات التي تميز بها الخطيب في هذا العصر.

2-2-صفات الخطيب:

الخطيب هو الذي يعد الخطبة التي يقوم بإلقائها على الناس، قصد التأثير في سامعيه، واستمالة قلوبهم، وحتى يحقق الخطيب غرضه، يجب أن تتوفر فيه مجموعة من الصفات التي توصله إلى هدفه نذكر منها:

2-2-1-الاستعداد الفطري:

أن يتمتع الخطيب بموهبة فطرية تساعده على الإلقاء، فهو «كالشاعر و الموسيقار والرسام لابد أن يكون في فطرته استعداد لهذا الفن البليغ، ينبع من نفسه و يمده، و نحن نعلم أن الناس متباينون في ميولهم و في استعدادهم، فمنهم من لا تهزه المناظر الرائعة أو المروعة، و منهم من يصمت أمام هذه المناظر دهشا مذهلا، و فيهم من تجيش بالأحاسيس نفسه، فيعبر عن جيشانه بكلمات مصورة لما يحس»[2] فالفطرة ملكة يتميز بها الخطيب عن غيره.

---

[1] أحمد زكي صفوت: جمهرة خطب العرب، ج2، ص8.

[2] أحمد محمد الحوفي : فن الخطابة، ص10.

2-2-2-اللَّسن والفصاحة:

يحتاج كل من يتقن فن الإلقاء «أن يكون لسنا فصيحا دربَ اللسان. بليل قديرا على التعبير، لأن منطقه هو ثروته وعدته»[1]، لذا يجب أن يكون الخطيب سليم مخارج الحروف، لا يعاني من عيوب الكلام «كاللجاج[2]، والتمام[3]، والألثغ[4]والفأفاء[5]...»[6] فسلامة مخارج الحروف صفة ضرورة من صفات الخطيب.

ويروي الجاحظ عن أبي الحسن المدائني: لما شد عبد الملك أسنانه بالذهب قال:«لولا المنبر والنساء، ما باليت متى سقطت».[7]

يدرك عبد الملك بن مروان الدور المهم للأسنان في نطق الحروف، لذلك نجد حرصا على بقاء مخارج حروفه سليمة، لا يشوبها عيب أو نقص.

2-2-3-معرفة نفسية السامعين:

تعني هذه الصفة أن يكون الخطيب على دراية بنفسية السامعين «بحيث يتعرف على مشاعرهم و ما يروق لهم، و يميز بين ما يغضبهم ويهيجهم و ما يعمل على تهدئتهم»[8]. وانطلاقا من حالة سامعيه يحدد الخطيب أسلوب خطابه الذي يتلاءم وحالتهم النفسية فالجماعة الثائرة يخاطبها بعبارة هادئة، والجماعة الخنسة الفاترة يخاطبها بعبارات حماسية محفزة، والجماعة التي شطت و ركبت رأسها يخاطبها بعبارات تجمع بين الترهيب

---

[1]المرجع نفسه، ص 11.

[2] المتردد في الكلام.

[3] ترد يد حرف التاء عند النطق بها.

[4] هي إبدال حرف بأخر في النطق، كإبدال السين بالثاء.

[5] ترديد الفاء في الكلام.

[6]الجاحظ البيان و التبيين،ج1،ص50.

[7]المصدر نفسه، ص15.

[8]محمد عبد الرحيم عدس، فن الإلقاء ، دار الفكر ، عمان، الأردن ، ط3، 2005م ، ص 16.

والترغيب، لذلك وجب على الخطيب أن يكون قادرا على إدراك نفسية سامعيه، والإتيان بالأسلوب الذي يتلاءم حالتهم.[1]

2-2-4-سعة الثقافة و الإطلاع:

يحتاج الخطيب أن يكون ملما بسائر أنواع المعارف والعلوم، ليكون كلامه مؤثرا ومقنعا في عقول السامعين. و قد حدد عبد الجليل شلبي المكونات الأساسية التي لا يستغني عنها أي خطيب وهي «أن يكون واسع الحفظ للأدب من شعر ونثر ومأثور كلام العرب من الحكم و الأمثال و الوصايا، و هذا فضلا عن حفظ القرآن وحفظ كثير من الأحاديث النبوية، فهذا المحفوظ يمده بالعبارات التي يستغلها بسرعة ويمنحه قدرة على التصرف في تعبيراته وألفاظه، كما أنه يسعفه بما يستشهد به على ما يقول.»[2]، لذا يجب على الخطيب أن يكون مزودا بمجموعة من المعارف التي تخدم موضوع خطبته.

2-2-5-سرعة البديهة:

يجب على الخطيب أن يكون حاضرا الذهن، سريع البديهة، ليتمكن من تجاوز ما يتعرض له من أسئلة من طرف معارضيه، أن لا يتحبس في جوابه أو يتلعثم في دفع اعتراضهم، فقد يكون جوابه سداد في الرد على معارضيه أقوى تأثيرا في نفوس سامعيه من الخطبة كلها، و إذا خانته بداهته و لم تسعفه بجملة قوية مؤثرة فخير له ألا يرد.[3]

2-2-6-حرارة العاطفة:

إن حرارة العاطفة أحد أهم دعائم الخطيب، و باعتبارها الوسيلة التي تحدثُ الأثر والحماس المطلوبين في جمهور السامعين، و لا يحقق هذا الأثر:«إلا من امتلأ حماسة فيما يدعو إليه، واعتقد بصدقه،لأن ما يخرج من القلب يدخل القلوب من غير استئذان،...فهو الذي ينحدر فيه الشعور ألفاظا، و العواطف و عبارات وأساليب، تلهب

---

[1]ينظر : محمد أبو زهرة ، الخطابة أصولها تاريخيا في أزهر عصورها عند العرب، ص 46.

[2] عبد الجليل عبده شلبي: الخطابة ة إعداد الخطيب، ص 35.

[3]ينظر : أحمد محمد الحوفي ، فن الخطابة ، ص22.

الحس و توقظ النفوس، و تثير الحمية، وتحفز الهمة، فلا بد أن تكون حماسة الخطيب أقوى من حماسة سامعيه ليفيض عليهم، و يروي غلبتهم. »[1]

وقد قال عامر بن عبد قيس: «الكلمة إذا خرجت من القلب وقعت في القلب، وإذا خرجت من اللسان لم تجاوز الأذان.»[2]

2-2-7-روعة المنظر وحسن الإلقاء:

فن الإلقاء له أهمية بالغة بالنسبة للخطيب، لما له من دور كبير في نجاح الخطبة أو فشلها، لذلك لابد على الخطيب أن يراعي عدَّة عوامل تعينه على حسن الإلقاء، وروعة المنظر من بينها.

أ)وقـــــفـة الخطيب :

أن يقف الخطيب أمام السامعين، وقفة تضفي عليه صفتي الفخامة و العظمة كأن يعتدل في وقفته، ويبرز صدره إلى الأمام، ويقدم رجلا على أخرى، ليتزن جسمه و تستريح نفسه، ولا يتعب صوته.[3]

ب)حسن الإشارة:

إن الإلقاء الجيد يحتاج إلى الإشارة الحسنة، لأنها«لغة متحركة مفهومة، فإذا اقترنت الإشارات باللغة في موضعها الملائم أثرت تأثيرا عظيما.»[4]

يقول الجاحظ: «الإشارة واللفظ شريكان، ونعم العونُ هي له، ونعم الترجمانُ هي عنه وما أكثر ما تنوب عن اللفظ، وما تغني عنه الخُّط، (...)،وفي الإرشاد بالطرف والحاجب وغير ذلك من الجوارح، مرفق كبير ومَعُونة حاضرة، في أمر يستُرها بعضُ النَّاس من

---

[1] محمد أبو زهرة: الخطابة أصولها تاريخها في أزهر قصورها عند الغرب، ص 46.

[2] الجاحظ: البيان و التبيين، ص 65.

[3] ينظر: أحمد محمد الحوفي: فن الخطابة، ص 26

[4] المرجع نفسه، ص27.

بعض، ويحقونها من الجليس وغير الجليس، ولولا الإشارة لم يتفاهم النّاسُ معنى خاصّ الخاص، ولَجَهِلوا هذا الباب البتّة».[1]

وقد قال أحد الشعراء في دلالات الإشارة:

العَينُ تُبدِي الذّي فَي نُفُوسِ صَاحِبَهَا من المَحَبةِ أو بُغْضِ إذا كانا

العَينُ تَنْطِقُ والأَفْوَاهُ صَامِتَـــــــــةٌ حَتَى تَرَى من ضَمِير القَلــبِ[2]

ج) جهارة الصوت وحلاوته:

الإلقاء الحسن يحتاج إلى جهارة الصوت وعذوبته، لأنه يعين الخطيب على «جلب انتباه الآخرين وارتياحهم، وجعلهم في حالة نفسية تتقبل ما يقوله لهم، فيبعد عنهم ذلك السأم والملّ ويحفز لديهم الحماسة والرغبة في الاستماع».[3]

يقول أحمد الحوفي: «كثيراً ما يسّحر الخطيب بصوته أكثر من سحّره ببلاغته»[4]. وقد كانت العرب تمدح جهير الصوت وتذم ضئيل الصوت، ويؤكد الجاحظ ذلك فيقول:«وكانوا يمدحون جهير الصوت، ويذمون الضئيل الصوت، ولذلك تشاد قوافي الكلام، ومدحوا سعة الفم وذمّوا صغير الفم».[5]

د)جمال الهندام:

الأفضل للخطيب أن يكون حسن المظهر، جميل الهندام لأنه يقوى ثقة الخطيب بنفسه، ويساعده على التأثير في نفوس السامعين، فيجعلهم، يجلّونه ويتوقعون منه الإحسان في خطبته.[6]

---

[1]الجاحظ: البيان والتبيين، ج1،ص ص 61،62.

[2]المصدر نفسه،ج1، ص 62.

[3]محمد عبد الرحيم عدس:فن الإلقاء، ص20.

[4]أحمد محمد الحوفي: فن الخطابة، ص 29.

[5]الجاحظ: البيان والتبيين، ص88.

[6]ينظر: أحمد محمد الحوفي: فن الخطابة، ص 31.

ويروي أبو زهرة عن الشيخ محمد المهدي عن أهمية المظهر الحسن يقول:«النظر يفعل في القلب، كما يفعل الكلام في السمع،(...)،ألا ترى أن معاوية لما رأى النخار مرتديا عباءة رثة أنكر مكانه وهيئته حتى اضطر النخار إلى أن يقول: إن العباءة لا تكلمك إنما يكلمك من فيها».[1]

لذلك على الخطيب أن يكون حسن المظهر، جميل الهندام، حتى يكون قادراً على استمالة سامعيه إليه و جذب انتباههم

3- من أعلام الخطابة في العصر الأموي:

3-1-زياد ابن أبيه : ت 673م/53هـ:

3-1-1-حياته:

وهو«أبو المغيرة زياد بن سمية المعروف بزياد ابن أبيه، من أهل الطائف».[2]ولد زياد في «السنة الأولى من الهجرة 622م»[3].يحيط بنسبة غموض كثير، فأمه سمية جارية الحارث بن كلّدة الثقفي، وقد زوجها بعبد رومي لهه يدعى "عبيدا"، فولدت له زيادًا فقيل له؛ زياد بن سمية، أو زياد بن عبيد، ولما استلحقه معاوية بن أبي سفيان بنسب أبيه عام 44هـ ،صار يسمى زياد بن أبي سفيان.[4]

نشأ زياد نشأة إسلامية محضة،«فقد كان ذكي القلب ، واسع الحيلة، حازما، حاد اللسان، ميالاً إلى العنف»[5].كما كان من خطباء العرب الفصحاء، استعمله عمر بن الخطاب رضي الله عنه، على بعض أعمال البصرة، وقيل: اتخذه أبو موسى الأشعري كاتبا له، وكان أحد الشهود على المغيرة بن شعبة مع أخويه أبي بَكْرة ونافع، وشِبْل بن

---

[1] أبو زهرة: الخطابة أصولها تاريخها في أزهر عصورها عند العرب، ص47.

[2] سامي يوسف أبو زيد: الأدب الإسلامي والأموي، ص 324.

[3] عمر فروج: تاريخ الأدب العربي، ج 1،ص 253.

[4] ينظر: محمد عبد المنعم خفاجي:الأدب العربي وتاريخه في العصرين الأموي والعباسي، ص253.

[5] هارون عبود: أدب العرب، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر، (د،ط)، 2012م، ص128.

معبد، فلم يقطع بالشهادة، فحدّهم عُمر ولم يَحُدْه وغزله.[1]ثم صار مع علي بن أبي طالب و ولاه إمرة فارس فأخمد ثورتَها، ولما توفي علي بن أبي طالب استماله معاوية لما عرف من شدته وحسن إدارته، و استلحقه بنسبة، واشهد الناس على أنه ابن أبي سفيان و ولاه معاوية البصرة و خرسان وسجستان، ثم جمع له الهند والبحرين وعمان.[2]

ثم ضم إليه الكوفة، فأصبح بذلك واليا على العراقيين، وهو أول من جُمع له بينهما فسار

في الناس سيرة لم بها الشعث، وأقام المعْرَج، وكبح الفتنة، (...) حتى أكَّد الملك لمعاوية و حتى شمل خوفهُ جميع الناس، فأمن بعضهم بعضًا.[3]

3-1-2-آثاره :

لزياد بن أبيه عدة خطب سياسية و إدارية، أشهره خطبته المعروفة بالبتراء و سميت بذلك لأنه لم يبدأها بحمد الله و الثناء عليه، أدقاها سنة 655م/45هـ، حين قدم إلى البصرة واليا من قبل معوية بن أبي سفيان.[4]

3-1-3- نصوص من خطبته " البتراء":

«أما بعد، فإن الجهالة الجهلاء[5]، والضلالة [6]العمياء[7]، والغي المُوَفَّى بأهله على النار ، ما فيه سفهاؤكم و يشتمل عليه حلماؤكم ، من الأمور العظام ينبت فيها الصغير ولا يتحاش[8] عنها الكبير، كأنكم لم تقرؤوا كتاب الله ، ولم تسمعوا ما أعد الله من الثواب الكريم لأهل طاعته ، والعذاب الأليم لأهل معصيته،...قربتم القرابة، وباعدتم الذين

---

(1) ينظر: ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة، دار ابن حزم، بيروت، لبنان،ط1 ،2012م، ص20.

(2) ينظر: سامي يوسف أبو زيد، الأدب الإسلامي والأموي، ص324.

(3) ينظر:مصطفى عناني و أحمد الإسكندر: الوسيط في الأدب العربي وتاريخه،(د،د)،(د،ب)،ط1919،1م،ص100.

(4) ينظر : سامي يوسف أبو زيد : الأدب الإسلامي و الأموي ، ص 325.

(5) الجهالة الجهلاء: الجهالة الضلالة، والجهلاء توكيد للجهالة.

(6)ا لضلالة : الباطل و الغي.

(7) العمياء: الشديدة.

(8)يتحاشى عنها: يتنحى عنها و يتباعد.

تعتذرون بغير العذر، وتغضون على المختلس. أليس كل امرئ منكم يذب عن سفيهة صنع من لا يخاف عاقبة ولا يرجو معادا. ما أنتم بالحلماء، ولقد اتبعتم السفهاء، فلم يزل بكم ما ترون من قيامكم دونهم حتى انتهكوا حرم الإسلام، ثم أطرقوا وراءكم كُنُوسًا في مكانس الريب.

حَرُم عَلَيَّ الطعام والشراب حتى أسويها بالأرض، هدما و إحراقا. إني رأيت آخر هذا الأمر لا يصلح ألا بما صلح به أوله: لبن في غير ضعف.»[1].

«وشدة في غير عنف، وإني أقسم بالله، لآخذن الولي بالولي، والمقيم بالظاعن والمقبل بالمدبر، والمطيع بالعاصي، والصحيح منكم في نفسه بالسقيم، حتى يلقي الرجل منكم أخاه فيقول: انج سعد فقد هلك سعيد، أو تستقيم لي قناتكم.

فإياي و دلج الليل، فإني لا أوتي بمدلج إلا سفكت دمه. و قد أجلتكم في ذلك بمقدار ما يأتي الخبر الكوفة ويرجع إليكم، وإياي و دعوة الجاهلية، فإني لا آخذ داعيا بها إلا قطعت لسانه. وقد أحدثتم أحداثا لم تكن، وقد أحدثنا لكل ذنب عقوبة: فمن غرق قوما غرقناه ومن أحرق قوما أحرقناه، ومن نقَّب بيتا نقبنا عن قلبه، ومن نبش قبرا دفناه فيه حيا فكفوا عني أيديكم وألسنتكم، أكفف عنكم يدي ولساني.و لا تظهر على أحد منكم ريبة بخلاف ما عليه عامتكم إلا ضربة عنقه.

أيها الناس، إنا أصبحنا سادة،وعنكم ذادةً، نسوسكم بسلطان الله الذي أعطانا ونذود عنكم بفيء الله الذي خولنا. فلنا عليكم السمع والطاعة فيما أحببنا ،ولكم علينا العدل والإنصاف فيما ولينا، فاستوجبوا عدلنا وفيئنا بمناصحتكم لنا.

أسأل الله أن يعين كلاًّ على كلٍّ. و إذا رأيتموني أنفذ فيكم الأمر فانفذوه عليَّ إذلاله وأيَّمُ الله إنَّ لي فيكم لصرعى كثيرة، فليحذر كلُّ امرىء منكم أن يكون من صرعاي.»[2]

---

[1] الجاحظ : البيان والتبيين،ج2 ،ص ص 40 ، 41.

[2] المصدر نفسه،ص 41، 42.

3-2- أبو حمزة الشاري:

3-2-1-حياته:

اسمه«المختار بن عوف بن سليمان بن مالك الأزدي السليمي.»[1]. ولد في «البصرة، يعد من زعماء الخوارج الإباضية، كانوا يدعون الشراة لأنهم شروا (باعوا) أنفسهم لله، و من هذا المنطق لقب بالشاري».[2]

كان أبو حمزة يأتي إلى مكة في كل عام، يدعو الناس إلى الخروج على مروان بن محمد، وفي سنة(128 هـ- 746 م) طالب أبو حمزة بالبيعة لزعيم الشراة عبد الله بن يحي الكندي في حضرموت، وبعدها استولى عبد الله بن يحي على اليمين في متحف سنة 129م ، يبعث بأبي حمزة إلى الشام لقتال مروان بن محمد ، فمر أبو حمزة بالحجاز فشغل بقتل أهل مكة و المدينة حتى قتل على مقربة من مكة، في منتصف سنة (130هـ، 748م).[3]

3-2-2-آثـــــــــاره:

أبو حمزة من خطباء الخوارج المعروفين بالفصاحة و البلاغة، «وتعد خطبته التي ألقاها في مكة أو المدينة أنموذجا لخطب التي تبوأت مكانة مرموقة بين الخطب الإسلامية في بلاغتها و أسلوبها و معانيها.»[4]، وقد بين أبو حمزة في خطبته هذه «أرائه- و ربما أراء جمهرة الخوارج عامة – في الخلفاء واحدا و قد ذاع صيت هذه الخطبة و صيت قائلها ، فرواها الرواة و دونها المصنفون».[5]

---

[1]عمر فروخ : تاريخ الأدب العربي، ص 712، 713.

[2]سامي يوسف أبوزيد : الأدب الإسلامي و الأموي ، ص 333.

[3]ينظر:عمر فروخ : تاريخ الأدب العربي،ج1، ص 713.

[4] سامي يوسف أبو زيد: الأدب الإسلامي والأموي، ص 333.

[5] محمد يونس عبد العال: في النثر العربي قضايا وفنون ونصوص، مكتبة لبنان ناشرون،بيروت،لبنان، ط1 1996م، ص156.

دونها الجاحظ في كتابه " البيان والتبيين" فقال: «دخل أبو حمزة الخارجي مكة،...، فصعد منبرها متوكئا على قوس له عربية ، فحمد الله و أثنى عليه ثم قال:

يا أهل الحجاز، أتعيرونني بأصحابي وتزعمون أنهم شباب وهل كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلاَّ شبابًا . أما و الله إني لعالم بتتابعكم[1] فيها يضركم في معادكم، ولولا اشتغالي بغيركم عنكم ما تركت الأخذ فوق أيديكم. في شبابهم والله مكتهلون.[2] في شبابهم غيبة عن الشر أعينهم، ثقيلة عن الباطل أرجلهم، أنضاء عبادة وأطلاح سهر، ينظر الله إليهم في جوف الليل منحنية أصلابهم على أجزاء القرآن كلما مر أحدهم بآية من ذكر الجنة بكى شوقا إليها، و إذا مر بآية من ذكر النار شهقة ، كأن زفير جهنم بين أذنيه. موصولة كلالهم بكلالهم: كلال الليل بكلال النهار.وقد أكلت الأرض ركبهم وأيديهم وأنوفهم وجباههم، و استقلوا ذلك في جنب الله حتى إذا رأوا السهام قد فوقت، والرماح قد أشرعت، والسيوف قد انتضيت، ورعدت الكتيبة بصواعق الموت وبرقت، استخفوا بوعيد الكتيبة لوعد الله ومضى الشباب منهم قدما حتى اختلفت رجلاه على عنق فرسه، وتخضبت بالدماء محاسن وجهه فأسرعت إليه سباع الأرض، وانحطت عليه طير السماء، فكم من عيون في منقار طائر طالما بكى صاحبها في جوف اليل من خوف الله، وكم من كف زالت عن معصمها طالما اعتمد عليها صاحبها في جوف الليل بالسجود لله، ثم قال : آه آه ثلاثا ، ثم بكى ونزل».[3]

---

[1] التهافت والوقوع في الشر.

[2] مكتهلون : كبار عقلاء.

[3] الجاحظ : البيان و التبيين ،ج2، ص ص 81، 82.

الفصل الثاني: الصور البيانية في خطب الحجاج بن يوسف الثقفي

1-صور التشبيه

1-1- تعريفها لغة واصطلاحا

1-2- أنواعها

2-صور الاستعارة

2-1- تعريفها لغة واصطلاحا

2-2- أنواعها

3-صور الكناية

3-1- تعريفها لغة واصطلاحا

3-2- أنواعها

1- صور التشبيه:

القارئ لخطب الحجاج بن يوسف الثقفي يجد أن الصور البلاغية من بيان وبديع ومعاني هي أكثر الأجزاء المكونة في خطبه، إلا أننا سنركز في هذا الفصل على دراسة الصور البيانية من تشبيه واستعارة وكناية التي تعد الأكثر تأثيرا في النفس، ونبدأ أولا بالتشبيه.

1-1- تعريفه لغة و اصطلاحا:

1-1-1-لغة:

التشبيه في اللغة مأخوذ من«الشِّبه، والشَّبه والشَّبيه أيّ: المِثل، والجمع أشباهٌ، وأشبَه الشيء: ماثله»[1].

ويعرفه الإمام الزمخشري بقوله:«ما له شِبه وشَبَهٌ وشبيه، وفيه شبَه منه، وقد أشبه أباه وشابهه، وما أشبهه بأبيه، واشتبهت الأمور وتشابهت: التبست لإشباه بعضها بعضا»[2]،ويتضح من خلال هذان التعريفان أن التشبيه ورد بمعنى التمثيل.

1-1-2-اصطلاحا:

يعدّ التشبيه من أقدم فنون البيان العربي، إذ حضيا بالاهتمام والدراسة من طرف العديد من النقاد والبلاغيون في كتبهم المختلفة، لذلك تعددت تعريفاته الاصطلاحية، فقد ورد في رسائل الرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني بأن:«التشبيه هو العقد على أن أحد الشيئين يسد مسد الآخر في حسن أو عقل ولا يخلو التشبيه من أن يكون في القول أو في النفس».[3]

---

[1]ابن منظور: لسان العرب، ج 4، (مادة شبه)، ص2189.

[2]الزمخشري: أساس البلاغة. تح / محمد باسل عيون السود، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان، (د ط)، (د ت) ص493.

[3]الرماني و الخطابي و عبد القاهر الجرجاني: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تح/ محمد خلف الله و محمد زغلول سلام ، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط 3 ، 1976 م ، ص80.

ويعرفه أبو هلال العسكري فيقول:«التشبيه: الوصف بأن أحد الموصوفين ينوب مناب الآخر بأداة التشبيه، ناب التشبيه منابه أو لم ينب».[1]

أما ابن رشيق فقد حدّد لنا العلاقة بين المشبه والمشبه به في بعض الوجوه عندما يوصف بقوله:«التشبيه: صفة الشيء بما قاربه و شاكله، من جهة واحدة أو جهات كثيرة لا من جميع جهاته، لأنه لو ناسبه مناسبة كلية لكان إياه».[2]

وهذا يعنى أن المشبه ليس المشبه به، لأن عملية التشبيه قائمة على اشتراك طرفيها في بعض الصفات، وكلما كانت هذه الصفات أكثر كانت أفضل، على ألا يكون التشابه والاشتراك بينهما تاما في جميع الجهات، لأن الشيء إذا طابق الشيء في جميع الجهات كان هو، وفي هذه الحالة لا حاجة لنا بذلك الوصف، فحس التشبيه لا يتحقق إلا إذا كان قائما على الجمع بين صفات متباعدة.

يذكر صاحب "عيار الشعر" في تعريفه للتشبيه المنبع الأول، الذي يرجع إليه الشاعر أو الخطيب، أثناء تركيبه للصورة التشبيهية فيقول: «واعلم أن العرب أودعت أشعارها من الأوصاف والتشبيهات والحكم ما أحاطت به معرفتها، وأدركه عيانها، ومرت به تجاربها وهم أهل وبر: صحونهم البوادي وسقوفهم السماء، فليست تعدو وأوصافهم ما رأوه منها وفيها».[3]

ركز ابن طباطبا في تعريفه هذا على عنصر البيئة، فهو يرى بأن الشاعر في خلقه لتشبيهاته، ينطلق من محيطه، ومما وقع على بصره داخل بيئته لذلك جاء التشبيه في كل عصر متأثرا بالبيئة وخاضع لها.

ومن تعريفات التشبيه أيضا تعريف عبد القاهر الجرجاني يقول: «التشبيه أن يثبت

---

[1] أبو هلال العسكري: الصناعتين، ص239.

[2] ابن رشيق: العمدة، ج1، ص 286.

[3] ابن طباطبا العلوي: عيار الشعر، تح/ عباس عبد الساتر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 2005م ص16.

لهذا معنى من معاني ذاك، أو حكما من أحكامه كإثباتك للرجل شجاعة الأسد وللحجة حكم النور».[1]

ثم جاء أبو يعقوب السكاكي فعرف التشبيه بقوله:«إن التشبيه مستدع طرفين: مشبها ومشبها به، اشتركا بينهما من وجه، وافترقا من آخر»[2]

وندرك من هذه التعريفات أن هناك أمر، أو أمرين شارك أحدهما الآخر في صفة أو أكثر بأداة ربط قربت بين المشبه والمشبه به في معنى مشترك بينهما.

ومن هنا نستخلص أركان التشبيه وهي:الأول: المشبه، والثاني: المشبه به، وهما طرفا التشبيه، والثالث: وجه الشبه، وهو المعنى العام الذي يجمع بين الطرفين، والرابع: أداة التشبيه (الربط)، وهي كثيرة أهمها (الكاف) وتدخل غالبا على المشبه.[3]

1-2-أنواعه:

1-2-1-التشبيه المفصل:

هو«ما ذكرت فيه الأداة، ووجه الشبه»[4].

و لأهمية التشبيه وقدرته الكبيرة على إيصال المعنى للمتلقي، أصبح وسيلة من وسائل التعبير، ومن أمثلة التشبيه لدي الحجاج ما ورد في خطبة دير الجماجم يقول: «**إذا وليتم كالإبل الشوارد إلى أوطانها**»[5]

يرد هذا التشبيه في معرض ذم أهل العراق، فقد شبه الحجاج في هذه الصورة فرار أهل العراق من معركة دير الجماجم خوفا من الموت، بفرار الإبل الشوارد إلى أوطانها وقد استوفى هذا التشبيه جميع أركانه من مشبه (أهل العراق)، ومشبه به (الإبل الشوارد)ووجه

---

[1] عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة، تح/ محمد رشيد رضا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1988م ص68.

[2] أبو يعقوب السكاكي: مفتاح العلوم،تح /نعيم زرزور ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،لبنان ،ط1983،1م،ص 332.

[3] ينظر: محمد رمضان الحربي: البلاغة التطبيقية دراسة تحليلية لعم البيان، شركة ELGA، فاليتا، مالطا، ط3 2000م، ص87.

[4]فضل حسن عباس: البلاغة فنونها وأفنانها، ج 2، دار النفائس، عمان، الأردن، ط12، 2009م، ص 66.

[5]الجاحظ: البيان والتبيين، ج2، ص 139.

الشبه المشترك بينهما هو الفرار والهروب خوفا من الموت أما أداة الربط فتمثلت في (الكاف).

ويبرز جمال هذا التشبيه في أنه مستمد من واقع البيئة العربية الصحراوية. وهذا ما ينم عن براعة الحجاج في توظيف الصور من واقعه المعاش.

ومن ذلك أيضا قوله: «**يا أهل الشام، إنما أنا لكم كالظليم الرامح عن فراخه**».[1]

إذا كان التشبيه السابق قد قصد به الحجاج ذم أهل العراق والازدراء بهم، فهو في هذا التشبيه يهدف إلى مدح أهل الشام والمبالغة في الدفاع عنهم وحمايتهم، فقد شبه نفسه وهو يدافع عن أهل الشام من كل خطر يداهمهم، بذَكَر النعام الذي يحمي فراخه من كل الأخطار التي تتهددها، وقد استوفى هذا التشبيه كل أركانه من مشبه هو الحجاج بن يوسف الثقفي (أنا)، ومشبه به (الظليم)، ووجه الشبه (الرامح)، أما الأداة فهي (الكاف).

ويكمن جمال هذا التشبيه في حسن اختيار الحجاج للمشبه به، فجعله أقوى حيوان بين الطيور (ذكر النعام)، وهنا يطمئن الحجاج أهل الشام بخالص مودته وحبه لهم.

1-2-2-التشبيه المجمل:

وهو «ما لم يذكر وجه الشبه فيه، فمنه ظاهر يفهمه كل أحد ...، ومنه خفي لا يدركه إلا الخاصة».[2]

وقد تشكلت في خطبة الحجاج عندما وليّ العراق جملة من التشبيهات، وردت في سايق واحد وهي :

قوله:« **لألحونكم لحو العصا**».[3]

فقد مثّل الحجاج في هذه الصورة نفسه، بأنه سيسلخ جلود أهل العراق عن أجسامهم، كما تزال القشرة عن العصا، إذ نقل المشبه به من الدلالة القوية المادية له، إلى

---

[1] الجاحظ: البيان والتبيين، ج2، ص 140.

[2] أمين أبو ليل: علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، دار البركة، عمان، الأردن، ط1، 2006م، ص 167.

[3] الجاحظ: البيان والتبيين، ج2، ص: 309.

الدلالة المعنوية وهي تصور تهديده لهم في أشدّ قسوة، وليس هناك ألم على المرء من نزع جلده عن جسمه وهو حي.

وفي قوله: «**لأعصبنكم عصب السلمة**»[1]

جسد الخطيب في هذه العبارة التشبيهية، نوع آخر من العقاب، إذ يقرر الحجاج أن يعصب أهل العراق، كعصب السلمة، والسلمة هي:«شجرة من العضاة، ذات شوك فتعصب أغصانها بأن تجمع وتشدّ بعضها إلى بعض بحبل شديد، ثم تخبط بعضا فيتناثر ورقها»[2] فنقلت هذه الصورة من دلالتها المادية (عصب السلمة) إلى دلالتها المعنوية المتمثلة في تهديد "الحجاج" بخطورة عقابه، وهنا يوصل لهم رسالة أنه لا يخشاهم و سيسلط عليهم أشد العذاب.

أما في قوله: «**لأضربنكم ضرب غرائب الإبل**[3]»[4].

فقد شبه في الصورة ضربه لأهل العراق بضرب غرائب الإبل، وهذه الصورة استمدها الحجاج من واقع حياته البدوية، ووجه الشبه المشترك بينهما هو التشابه في العقوبة بين أهل العراق وغرائب الإبل (الضرب).

لو تأملنا في هذه التشبيهات، لوجدناها تعبر عن معان قائمة في نفس الحجاج، وقد جسدها في صور استمدها من واقعه وبيئته البدوية الصحراوية المألوفة، وذلك لتحقيق هدفه في ترهيب المعارضين.

ومما لا شك فيه أن المتلقي بعد أن تجسدت أمامه صور التعذيب، سيمتثل لأوامر الوالي حتما، لأن الحجاج أحكم صناعة تشبيهاته، فاستطاع بذلك إخراج العذاب في صور متعددة، تلاحمت جميعها من أجل ترهيب أهل العراق وإقناعهم، بأنه سينفذ تهديد بالعقاب

---

[1] الجاحظ البيان و التبيين ،ج2 ، ص309.

[2] الهامش: المصدر نفسه، ص نفسها.

[3] ذلك إن الإبل إذا وردت الماء فدخل عليها غريبة من غيرها ضربت وطردت حتى تخرج عنها.

[4] الجاحظ: البيان والتبيين، ج2، ص 309.

حتما.

ويقول كذلك:«**فإنكم لكأهل قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع بما كانوا يصنعون**».[1]

وقد اقتبس هذا التشبيه من قوله تعالى:﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ (112)﴾.[2]

ولعل من أجود صور التشبيه وأبدعها للحجاج، تشبيهه للعراقيين بأهل القرية الظالمة فقد لجأ إلى المشبه به الجاهز من القرآن الكريم ليؤكد لأهل العراق، بأنهم يستحقون العقاب.

وقد تشكلت عناصر هذا التشبيه في مجموعة من الثنائيات سنوضحها في الجدول التالي:

المشبه	أداة التشبيه	المشبه به
العراق	الكاف	القرية
أهل العراق	الكاف	أهل القرية
جحود أهل العراق بأنعام ولاتهم وخلفائهم	الكاف	كفر أهل القرية بأنعام الله
عقاب الحجاج	الكاف	عقاب الله عز وجل
الجوع والخوف	الكاف	الجوف والخوف

ويعد هذا التمثيل من أحسن أنواع التشبيه، لأن السامع له لا يملك ردا أو إنكار لما سمعه، لأن مصدره هو القرآن الكريم، والحجاج على دراية كاملة بهذا الأمر. فالتشبيه بهذه الطريقة يعد أداة حقيقية للإقناع ومن ثم التأثير.

[1] الجاحظ: البيان و التبيين، ج2، ص 203.

[2] سورة النحل: الآية: 112.

1-2-3-التشبيه البليغ:

وهو تشبيه «حذفت منه الأداة ووجه الشبه»[1]، ويعد من الوجوه البلاغية المثيرة التي يعتمد فيها الإيجاز والاختصار، ولقد اعتمد الحجاج بن يوسف الثقفي عليه في خطبه ومن ذلك ما استهل به الحجاج خطبته حين ولي العراق يقول:

«أنا ابن جَلاَ وطلاَع الثنَايَا مَتَى أضَعِ العِمَامَةَ تَعرِفُونِي»[2]

نجد في الشطر الأول من البيت بعض الصفات التي نسبها الحجاج لنفسه ومنها صفة "أنا ابن جلا" ودلالتها تعني "الليث"، وسمي بذلك لوضوح الأمر، وكان ابن جلا هذا صاحب فتك يطلع في الغارات من ثنية الجبل"[3]. ولعل حسن اختيار الحجاج للمشبه به ونسبه إلى ذاته (أنا) التي تعود على الحجاج، قد أكسبت هذا التشبيه قوة وتأثيرا كبيرا ولعل استخدام الحجاج لهذا التشبيه كفاتحة لخطبته جعله أبلغ وأحكم في تحقيق غاية المتمثلة في إدراك المتلقي لقوته وشجاعته. وأهل العراق اعلم بفتك "ابن جلا".

ثم انتقل إلى صفة أخر (طلاع الثنايا) ودلالتها تعني "الطريق في الجبل"[4]، وهي صفة تدل على أن الحجاج قوي شديد، وتوظيف الحجاج لهذه الصفات، حتى يبين للمتلقي أنه يستطيع مواجهة الصعوبات للوصول إلى هدفه، وكان قصده هو التأثير في المتلقي وإقناعه منذ الوهلة الأولى الخضوع لأوامره وتنفيذ قراراته.

---

[1] فهد خليل زايد: البلاغة بين البيان والبديع، دار يافا العلمية، الأردن، عمان، ط1، 2009م، ص17.

[2] ابن الأثير: الكامل في التاريخ، مج4، ص138.

[3] الهامش: أحمد زكي صفوت: جمهرة خطب العرب، ج2، ص275.

[4] الهامش: المرجع نفسه، ج2،ص نفسها.

2- الصورة الاستعارية:

تعد الاستعارة لون من ألوان التعبير المجازي تكون العلاقة فيها بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي علاقة مشابهة، والاستعارة أبلغ في النفس وأجمل من التشبيه وأكثر قدرة على تصوير المعنى بشيء من التخييل والمبالغة.

2-1- تعريفها لغة واصطلاحا:

2-1-1- لغة:

الاستعارة في "اللغة" «مأخوذة من العارية أي: ما تداولوه بينهم. واستعاره الشيء واستعاره منه: طلب منه أن يعيره إيّاه».[1]و «استعار سهما من كنانته، وأرى الدهر يستعيرني شبابي أي يأخذه مني»[2]

ويعرّف ابن فارس الاستعارة بقوله: «وهو أن يضعوا الكلمة للشيء مستعارة من موضع لآخر فيقولون: انشقت عصاهم إذا تفرقوا»[3]. ومن ثم فالاستعارة لغة رفع الشيء وتحويله من مكان إلى آخر.

يؤكد هذا المعنى ابن الأثير بقوله: «الأصل في الاستعارة المجازية مأخوذة من العارية الحقيقية التي هي ضرب من المعاملة، وهي أن يستعير الناس من بعض شيئا من الأشياء ...، وهذا الحكم جار في استعارة الألفاظ بعضها من بعض، فالمشاركة بين اللفظين في نقل المعنى من أحدهما إلى الآخر كالمعرفة بين الشخصين في نقل الشيء المستعار من أحدهما إلى الآخر».[4]

---

[1] ابن منظور: لسان العرب، ج4، (مادة عور)، ص 618.

[2] الزمخشري: أساس البلاغة، ج1، ص 684.

[3]أبو الحسين أحمد بن فارس: الصاحبي في فقه اللغة العربية، تح/ أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، ص ص 154، 155.

[4] ضياء الدين بن الأثير: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ج2، تح/ أحمد الحوفي وبدوي طبانه، دار النهضة مصر، القاهرة، ط2، 1962م، ص 77.

نلاحظ أن جل المعاني تجمع على أن الاستعارة تدل على نقل الشيء من شخص إلى آخر، وفيها كذلك معنى الرفع والتحويل.

2-1-2-اصطلاحا

أما في الاصطلاح فقد ذكر علماء البلاغة تعريفات عدة للاستعارة، ويعد الجاحظ أول من عرفها كفن بلاغي يقول:«الاستعارة تسمية الشيء باسم غيره إذا قام مقامه».[1]

نجد أن الجاحظ في تعريفه للاستعارة جعلها قريبة إلى حد ما من المعنى اللغوي ،فقد جعلها نقل اللفظ من معنى عرف به لغويا إلى معنى آخر لم يعرف به، إلا أنه لم يقيد هذا النقل بقيد أو شرط، كما أنه لم يبين الغرض من هذا النقل أهو لإيضاح فكرة ما أو من أجل تفصيل المعنى.

وعرفها أبو هلال العسكري بقوله: «الاستعارة نقل العبارة عن موضع استعمالها في أصل اللغة إلى غيره لغرض، وذلك الغرض إما أن يكون شرح المعنى وفضل الإبانة عنه، أو تأكيده والمبالغة فيه، أو الإشارة إليه بالقليل من اللفظ، أو تحسين المعرض الذي يبرز فيه».[2]

ويعد بن رشيق الاستعارة أفضل المجاز بقوله: «الاستعارة أفضل من محاسن الكلام إذا وقعت موقعها، ونزلت موضعها، والناس مختلفون فيها: منهم من يتعير للشيء ما ليس منه ولا إليه»[3]، وقد اعتبر ابن رشيق الاستعارة من المجاز الذي هو استخدام اللفظ في غير معناه الحقيقي، فيقول في ذلك: «فصار التشبيه والاستعارة وغيرهما من محاسن الكلام داخلة تحت المجاز»[4]

---

[1] الجاحظ: البيان والتبيين، ج1، ص 16.

[2] أبو هلال العسكري: الصناعتين، ص 268.

[3] ابن رشيق: العمدة في محاسن الشعر وآدابه، ج1، ص ص 268، 269.

[4] المصدر نفسه، ص: 266.

أما عبد القاهر الجرجاني فقد نظر إلى الاستعارة نظرة دقيقة، حدد من خلالها مفهوم الاستعارة بقوله:«اعلم أن الاستعارة في الجملة أن يكون لفظ الأصل في الموضع اللغوي معروفا تدل الشواهد على أنه اختص به، حين وضع، ثم يستعمله الشاعر أو غير الشاعر في ذلك الأصل، وينقله إليه نقلا غير لازم فيكون هناك كالعارية».[1]

وعبد القاهر في هذا التعريف يؤكد، بأن المستعار يجب أن يكون له أصل أو حقيقة يدل عليها بأصل وضعه.

استمر عبد القاهر الجرجاني في توضيح مفهوم الاستعارة وبيان الاختلاف بينها وبين باقي فنون البيان خاصة المجاز التي هي جزء منه يقول:«الاستعارة أن تريد تشبيه الشيء بالشيء فتدع أن تفصح بالمشبه وتظهره وتجيء إلى اسم المشبه به فتعيره المشبه وتجريه عليه»[2]. أراد عبد القاهر في هذا التعريف إبعاد الاستعارة من التداخل مع المجاز.

ويقدم السكاكي تعريفا للاستعارة يقول:« هي أن تذكر أحد طرفي التشبيه وتريد به الطرف الآخر مدعيا دخول المشبه به».[3]

وعرفها ابن الأثير:«الاستعارة هي طيّ ذكر المستعار له الذي هو المنقول إليه والاكتفاء بذكر المستعار الذي هو المنقول».[4]

فالتعريفات السابقة وإن اختلفت في ألفاظها، إلا أنها تتفق في مضمونها، على أن الاستعارة:«استعمال اللفظ في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة بين المعنى الأصلي

---

[1]عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة، ص22.

[2] عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، تحقيق محمد رضوان الداية، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط1، 2007م ص111.

[3]أبو يعقوب السكاكي: مفتاح العلوم، ص369.

[4] ضياء الدين بن الأثير، المثل السائر، ص 142.

للكلمة، والمعنى الذي انتقلت إليه الكلمة مع وجود قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصل».[1]

2-2- أنواعها:

الاستعارة نوعان منها ما يقوم على الكناية ويسمى مكنية، ومنها ما يسمى بالتصريحية وهي ما يصرح فيها بلفظ المشبه به.

يقول السكاكي في تقسيم الاستعارة: «اعلم أن الاستعارة تنقسم إلى: مصرح بها ومكنى عنها، والمراد بالأول: هو أن يكون الطرف المذكور من طرفي التشبيه، هو المشبه به؟ والمراد بالثاني أن يكون الطرف المذكور هو المشبه».[2]

ويقسم البلاغيون المحدثون الاستعارة أيضا «باعتبار ذكر المشبه به أو ذكر ما يخصه إلى قسمين: مصرحة أو مصرح بها أو تصريحية وهي ما صرح فيها بلفظ المشبه به (...)، ومكنية وهي ما حذف فيها المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه».[3]

أما أركان الاستعارة فهي تشتمل على ثلاثة أركان وهم: مستعار منه وهو المشبه به ومستعار له وهو المشبه، ويقال لهما الطرفان (المستعار منه، والمستعار له)، وعلى أساسهما قسم البلاغيون الاستعارة إلى تصريحية ومكنية.

أما الركن الثالث هو المستعار؛ أي اللفظ المنقول.[4]

2-2-1-الاستعارة المكنية:

من الصور البلاغية المجازية الواردة بكثرة في خطب الحجاج، الاستعارة المكنية وهي«ما حذف فيها المشبه به أو المستعار منه، ورمز له بشيء من لوازمه»[1].

---

[1] السيد أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، تد/ يوسف الصميلي، المكتبة العصرية صيدا،بيروت، ط2، 2000م، ص 258.

[2]السكاكي: مفتاح العلوم، ص 273.

[3] أحمد مصطفى المراغي: علو البلاغة البيان والمعاني والبديع، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 2004م، ط1 ص 228.

[4]ينظر: السيد أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة، ص258.

والمتأمل في استعارات الحجاج بن يوسف الثقفي، يدرك أن جماليتها تكمن في حسن صياغتها، وابتكار الصور المجسدة للمعاني بطريقة تحمل المتلقي على تخيل صورة جديدة لم يألفها، لكنها تؤثر فيه وتسحره في كثير من الأحيان ومن ذلك قوله في خطبته عندما وليّ العراق:«**إني لأحمل الشرّ بحمله**».[2]

فقد شبه الحجاج في هذه الصورة الاستعارية لفظ "الشر"، هو أمر معنوي بشيء مادي يحمل وتشاهده العين، بينما هو إحساس لا يكون إلا في النفس، وحذف المشبه به (شيء مادي يحمل)، وترك صفة من صفاته دلت عليه وهي لفظة "أحمل" على سبيل الاستعارة المكنية.

وتليها مباشرة استعارة مكنية في قوله « **و أحذوه بنعله** ».[3]

صور الحجاج في هذه الاستعارة "الشر"، بإنسان يمشي، وحذف المشبه (إنسان يمشي)ورمز له بشيء من لوازمه وهو لفظ "نعله". وإسناد المشي إلى الشر استعارة تخييلية.

وفي هاتين الاستعارتين استعمل الحجاج اللفظ الذي يجسد المعنى ماديا، ودلالته المقصودة من ذلك هو التأثير في المتلقي وإقناعه بعدم مواجهته، لأنه يتميز بالقوة والبطش، كما جسدتا مشاعر الحجاج التي تفيض بغضا كرها اتجاه أهل العراق.

وفي قوله:«**إني لأرى رؤوسا قد أينعت، وحان قطافها، وإني لصاحبها**».[4]

عمد الحجاج في هذه الصورة إلى تشبيه رؤوس الخارجين عن خلافة بني أمية بثمار الأشجار الناضجة وحان أوان قطفها، وكأنه هو ذلك البستاني الذي يقطف الثمار التي

---

[1] عبد اللطيف شريفي وزبير دراقي: الإحاطة في علوم البلاغة، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر 2004م، (د.ط)، ص 148.

[2] الجاحظ: البيان والتبيين، ج2، ص 308.

[3] المصدر نفسه: ص نفسها.

[4] المصدر نفسه،ص نفسها .

نضجت، وحذف المشبه به (الثمار الناضجة)، وأبقى على صفة من صفاتها وهي تتمثل في لفظتي "أينعت"، و "حان قطافها" على سبيل الاستعارة المكنية.

ودلالته المقصودة من خلال هذه الصورة ،هي إظهار صرامته في تنفيذ تهديده ووعيده. يقول الحجاج:« **فإنكم في الفتن، واضطجعتم في مراقد الضلال**»[1]

فقد شبه الحجاج الضلال الذي يعيش فيه العراقيون، من شقاق ونفاق واختلاف وتفرق إلى عدة أحزاب، بالحيوان المفترس له مجموعة من المراقد يعيش فيها، فهذا الضلال الذي لازمه أهل العراق، ولم يفارقوه يهدد أمن الخلافة واستقرارها.وحذف المشبه به (الحيوان المفترس) وأبقى على لازمة من لوازمه وهي لفظتي "اضطجعتم" "مراقد"، على سبيل الاستعارة المكنية.

ومن الاستعارات المكنية قوله في خطبته حين أرجف أهل العراق بموته:«**وأكلت الأرض شعره وبشره، وامتصت صديده**».[2]

أسند الحجاج في هذه الصورة فعل الأكل إلى الأرض، مشبها إياها بحيوان مفترس شرس يأكل لحم فريسته ويمتص صديدها بعد موتها لكنه في الحقيقة إسناد مجازي لغوي فالأرض لا تأكل اللحم، ولا تمتص صديد الإنسان بعد موته، وحذف المشبه به "الحيوان المفترس"، وأبقى على لازمة من لوازمه دلت عليه وهي لفظتي "أكلت" و "امتصت" على سبيل الاستعارة المكنية

ومن الاستعارات كذلك، قول الحجاج في خطبته التي ألقاها في واقعة دير ا لجماجم:«**فكيف تنفعكم تجربة، أو تعظكم وقعة**».[3]

([1]) المصدر نفسه، ج2، ص309.

[2] أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب، ج2، ص287.

[3] الجاحظ: البيان والتبيين، ج2، ص138.

فقد شبه الخطيب "واقعة دير الجماجم" بإمام واعظ يقدم المواعظ والنصائح لأهل العراق، وحذف المشبه به "إمام واعظ"، وأبقى على لازمة من لوازمه تتمثل في لفظة "تعظكم"، وهي من خصائص إمام واعظ.

وتأتي بعدها مباشرة استعارة آخر في قوله: «**أو يحجزكم إسلام**».[1]

وفيها شبه الإسلام وله دلالة معنوية، بحاجز مادي يمارس وظيفته الحجز والإيقاف على الناس، ثم حذف المشبه به (حاجز مادي) ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو لفظ "الحجز" على سبيل الاستعارة المكنية.

وفي قوله:«**حتى عضكم السلاح**» [2]

فقد شبه الخطيب في هذه الاستعارة السلاح، بالحيوان المفترس، ثم حذف المشبه (الحيوان المفترس)، وأبقى على قرينة لغوية وهي لفظة "عضكم" على سبيل الاستعارة المكنية.

ويقول أيضا: «**ألم تنهكم المواعظ**»[3]

لو تأملنا في هذه الصورة الاستعارية لوجدناها مكررة، لكن بطريقة أخرى وبالأسلوب الاستفهامي نفسه، وفيها شبه الحجاج المواعظ التي عبارة عن عبارة عن ذكر من القرآن الكريم والحديث الشريف، بالإمام الذي يقدم النصح والإرشاد، ثم حذف المشبه به (إمام واعظ)، وترك لازمة من لوازمه دلّت عليه وهي لفظة "المواعظ" وهي خاصية يتميز بها الإمام، على سبيل الاستعارة المكنية.

---

[1] المصدر نفسه، ج2 ص نفسها.

[2] ابن عبد ربه:العقد الفريد ،ج4،ص204.

[3] الجاحظ :البيان و التبيين،ج2 ،ص 139.

2-2-2-الاستعارة التصريحية:

يعرفها الدكتور علي فرّاجي بقوله: «هي ما صرح فيها بلفظ المشبه به، أو هي ما استعير فيها لفظ المشبه به للمشبه»[1] ولم تخل نصوص الحجاج من هذا النوع من الاستعارة غير أنها قليلة الورود.

يقول الحجاج:«**وإن أمير المؤمنين، أطال الله بقاءه، كبّ كنانته بين يديه**».[2]

فقد شبه الحجاج قادة جيش أمير المؤمنين، بالجعبة التي توضع بداخلها السهام وهي الكنانة، غير أنه في هذه الصورة لم يذكر لفظ المشبه (قادة الجيش)، وصرح بالمشبه به (الكنانة) وتبرز بلاغة هذه الصورة وجماليتها في حسن اختيار لفظ المشبه به الكنانة وهي قرينة حالية تدل على السلاح والحرب والقوة، وهنا تبرز براعة الحجاج في إحكام صناعة الصورة في كل أجزائها.

كما يقول:« **فوجدني أمرّها عودا، وأصلبها مسكرا**»[3]

شبه الحجاج نفسه بسهم من هذه الأسهم الموجودة بالكنانة، لكنه سهم صلب وقوي على من يريد كسره، فحذف المشبه (الحجاج بن يوسف الثقفي)، وصرح بالمشبه به (أمرّ عودا) على سبيل الاستعارة التصريحية.

شخص الحجاج للمتلقي في هذه الصورة، عملية اختيار الخليفة عبد الملك بن مروان له ليكون واليا على العراق.

3-صور الكناية :

تعد الكناية من أقسام البيان (تشبيه واستعارة)، غير أنها تختلف عن هذين النوعين الأخيرين، في أنها لا تقوم على عقد علاقة مشابهة بين طرفي التشبيه، وإنما هي أن تطلق لفظة و تريد بها معنى آخر، وهذا ما يزيد الكلام قوة و تأكيدا و جمالا.

---

[1] علي فرّاجي: محاضرات في تطبيقات علم البيان، دار هومة، بوزريعة، الجزائر، (د.ط)، 2010م، ص 89.

[2] الجاحظ: البيان والتبيين، ج2، ص 309.

[3] المصدر نفسه: ص نفسها.

3-1-تعريفها لغة و اصطلاحا:

3-1-1-لغة:

الكناية في اللغة:«أن تتكلم بشيء و تريد غيره ، و كن عن الأمر بغيره يكني كناية : تعني إذا تكلم بغيره مما يستدل عليه نحو الرفث و الغائط و نحوه ».[1]

وهذا المفهوم غير بعيد عن ما قدمه " أبو هلال العسكري " من تعريف للكناية إذ يقول: «أن يكنى عن الشيء ويعرض به ولا يصرح، على حسب ما عملوا باللحن والتورية عن الشيء» [2].

3-1-2-اصطلاحا:

أما مفهوم الكناية الاصطلاحي، فقد ورد عند مجموعة من البلاغيين من بينهم:" قدامة بن جعفر" الذي يعد أول من عرف الكناية بمعناها الاصطلاحي الناضج ، عندما تحدث عن أنواع ائتلاف اللفظ بالمعنى و سماه (الأرداف) وهو: «أن يريد الشاعر دلالة على معنى من المعاني فلا يأتي باللفظ الدال على ذلك المعنى، بل بلفظ يدل على معنى هو ردفه و تابع له، فإذا دل على التابع أبان عن المتبوع.» [3].

أما " عبد القاهر الجرجاني"، فقد اتكأ على تعريف " قدامة " للأرداف وسماه كناية، ثم عرفها بقوله: «أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني، فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة ولكن يجيء إلى معنى تاليه وردفه في الوجود،فيومئ به إليه ويجعله دليلا عليه»[4] ففي الكناية لا يذكر الشاعر أو الخطيب الصفة أو المنعى مباشرة، وإنما يعبر عنه بطريقة أخرى، وهي أن يطلق اللفظ وتريد به معنى آخر.

---

[1]ابن منظور: لسان العرب، مج15، (مادة كنى)،ص 233.

[2] أبو هلال العسكري، الصناعتين،ص368.

[3]قدامة بن جعفر : نقد الشعر، تح/ محمد عبد المنعم خفاجي ، دار الكتب العلمية ، (د،ط) ، (د،ت)، ص157.

[4] عبد القاهر الجرجاني : دلائل الإعجاز ، ص 210.

ثم جاء "الزمخشري" بعد "عبد القاهر الجرجاني"، و رسم حدودا للكناية، إذ يعد أول من فرق بين الكناية والتعريض، بوضع فروقا لكل منها، وقد عرّف الكناية بقوله:« أن تذكر الشيء بغير لفظه الموضوع لهه كقوله: طويل النجاد والحمائل لطول القامة ، وكثير الرماد للمضياف ».[1]

وتعريف الزمخشري «الكناية على هذا النحو يجعلها أشبه بالمجاز الذي تستعمل في الألفاظ في غير ما وضعت له، و لعل الزمخشري يريد، أنها تدل على لازم معناها الأصلي، مع دلالتها على معناها الحقيقي تبعا».[2]

ومن تعريفات الكناية أيضا، تعريف "السكاكي" لها فيقول: « الكناية هي ترك التصريح بذكر الشيء إلى ذكر ما يلزمه ليتنقل من المذكور إلى المنزوك »[3].

وإذا عدنا إلى استخدام العرب للصور البيانية خاصة الكناية، ندرك أن طريقتهم في التعبير تعتمد الكناية في شؤون حياتهم وهذا ما أشار إليه الدكتور أحمد مصطفى المراغي إذ يقول: «إن العرب تلفظ أحيانا بلفظ لا تريد منه معناه الذي عله بالوضع بل تريد منه ما هو لازم له في الوجود، بحيث إذا تحقق الأول تحقق الثاني عرفا و عادة»[4]

و قد أدرك البلاغيون قيمة الكناية في تحسين الكلام، فهي تضفي على معانيه جمالا وتزيدها قوة، و في ذلك يقول الجرجاني: «وقد أجمع الجميع على أن الكناية أبلغ من الإفصاح، والتعريض أوقع من التصريح، و أن للاستعارة مزية و فضلا.» [5].

ويرجع الجرجاني سبب استحسانه للكناية ، وتفصيلها في التصريح إلى المعنى الذي تريده. في أنها تزيد من إثباته و توكيده، و في ذلك يقول: «أن ليس المعنى إذا قلنا: إن

---

[1]الزمخشري : الكاشف عن حقائق غوامض التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل ، تح/ عادل أحمد عبد الموجود و علي محمد معوض ، ج1 ، دار العبيكان ، الرياض ، السعودية ، ط1 ، 1998 ، ص 227.

[2] شوقي ضيف : البلاغة تطور و تاريخ ، دار المعارف ، القاهرة ، بيروت ، ط9 ، (د ت) ، ص 235 .

[3] السكاكي : مفتاح العلوم ، ص 402 .

[4] أحمد مصطفى المراغي : علوم البلاغة البيان و المعاني و البديع ، ص 254 .

[5] عبد القاهر الجرجاني : دلائل الإعجاز ، ص 70.

الكناية أبلغ من التصريح أنك لما كَنَيتَ عن المعنى زدت في ذاته، بل المعنى أنك زدت في لإثباته فجعلته أبلغ و أكد و أشد.»[1]،ونستنتج من تعريفه هذا، أن عبد القاهر الجرجاني يعدها من طرق الإثبات .

3-2- أنواعها :

قسم البلاغيون الكناية من حيث ما تدل عليه إلى ثلاثة أقسام وهي الكناية عن صفة وموصوف والكناية عن نسبة .

و يقول السكاكي مقسما الكناية: «وإذا قد سمعت أن الكناية ينتقل فيها من اللازم إلى الملزوم، فاسمع أن المطلوب بالكناية لا يخرج عن أقسام ثلاثة:أحدهما: طلب نفس الموصوف وثانيها: طلب نفس الصفة،وثالثها: تخصيص الصفة بالموصوف.»[2].

3-2-1-الكناية عن صفة:

وهي التي «يطلب بها صفة من الصفات كالجود و الكرم (...) و هي ضربان: قريبة و هي ما ينقل منها إلى المطلوب بها بلا واسطة سواء أكانت واضحة (...) وبعيدة: وهي ما ينتقل منها إلى المطلوب بها بواسطة»[3]

3-2-2-كناية عن موصوف:

وهي التي يصرح فيها بالصفة وبالنسبة، ولا يصرح بالموصوف المطلوب النسبة إليه وهي قسمين: قد تكون الكناية فيه معنى واحدا، أو تكون فيه مجموعة معان مختلفة تضم بعضها إلى بعض لتكون جملتها مختصة بالموصوف. [4]

3-2-3-كناية عن نسبة:وهي«أن يصرح بالموصوف والصفة ولا يصرح بالنسبة بينهما، إما أن تكون إثباتا أو نفيا.» [5].

---

[1] المصدر السابق ،ص نفسها .

[2] السكاكي : مفتاح العلوم ، ص 403.

[3] أحمد مصطفى المراغي : علوم البلاغة البيان و المعاني و البديع ، ص 255.

[4] ينظر : محمد رمضان الجربي ، البلاغة التطبيقية ، ص 366.

[5] أمين أبو ليل: علوم البلاغة المعاني و البيان و البديع ، ص205 .

ولقد أدرك الحجاج بن يوسف، أن تأكيد معاني الترهيب والوعيد لا تكون بالتصريح بها، بل عن طريق كناية، لأنها تجسد المعني بصورة واضحة وأقرب إلى الفهم وأكثر تأثيرا في النفس، لذلك استهل الحجاج خطبته حين ولي العراق ببيت شعري لسحيم بن وثيل الرياحي يتضمن الكناية يقول:

«أنا بن جَلاَ و طَلاَع الثَنَايَا مَتَى أَضَعِ العِمَامَةَ تَعرِفُونِي.» [1]

نجد الكناية في قوله (إطلاع الثنايا).وهي صفة تدل على أن الحجاج جلد قوي يتحمل المشاق ،وأنه قادر على أن يطلع الثنايا مهما بلغ ارتفاعها و صعوبتها،وقد كادت الكناية هنا عن صفة وهي تتمثل في صفة القوة والصلابة.

ويحتوي الشطر الثاني من البيت على كناية في قوله:«متى أضع العمامة تعرفوني» فالعمامة في هذه العبارة كناية عن الحرب، لأن دلالتها في العرف العربي أنها: «تلبس في الحرب وتوضع في السلم.» [2].

وفيها إشارة بأن الحجاج ما يزال مرتديا عمامته، فهو إذا في حرب وعلى العراقيين أن يحذروا بطشه،وهي كناية عن صفة القوة في المحاربة.

وتعد هاتين الصورتين الأخيرتين من أحسن ما أبدع الحجاج في الكناية، إذ جعل فاتحة خطبته بهذا البيت الشعري، بدلا من الفـــاتحة المتعارف عليها والتي يفترض أن تكون بسملة وحمدلة،وصلاة وتسليم على النبي صلى الله عليه وسلم، لم تكن عبثا وارتجال من الحجاج ، بل تنم عن حسن نظر وتقدير منه، لأن ابتداءه بهذا البيت فيه كناية عن أنه سوف يأخذهم بقوة وعنف منذ البداية .

ومن الكناية أيضا قوله:«**إن أمير المؤمنين كب كنايته بين يديه فعجم عيدانها فوجدني أمرها عودا وأصلها مكسرا.**» [3]، وهي كناية عن صفة تمثلت في صعوبة

---

[1] أحمد زكي صفوت : جمهرة خطب العرب : ج6 ، ص 274 .

[2] المرجع نفسه ،ج2، ص275 .

[3] المرجع نفسه،ص276.

الاختيار و البحث عن الأكفأ والأقدر لتولي أمر الفتنة في العراق،وفيها تلميح و إشارة على أن الحجاج بقوته و صلاته سيتولى مهمة قتال أهل العراق وإخماد نار الفتنة في العراق.

أما في قوله:«**ما يقعقع لي بالشنان.**» [1]، و الشنان تعني «القربة البالية.» [2] والتي تستعمل لإخافة البعير إفزاعهم،وهي كناية عن صفة الشجاعة،وقد جاء الحجاج بهذا التعبير من واقع بيئته البدوية التي يعرفها العراقيين في حياتهم، ليبين لهم واقع رجل لا يخاف ولا يفزع من أي أحد مهما كان.

إن كنا قد أوردنا بعض صور الكناية في مبحث الاستعارة سابقا، فذلك لأن كل كناية يمكن أن تكون استعارة.

ومن الكناية أيضا، ما ورد في خطبة الحجاج في واقعه دير الجماجم

يقول:« **حيث رُمتُم المكر.**»[3].

قصـــد الحجاج من وراء هذا التعـبير أن يصف أهــل العراق، بأنهم أهل خبث وغدر وخديعة، لذلك جاءت الكناية هنا عن صفة وهي صفة الخبث.

أما في قوله:«**ويذهل الخليل عن خليله.**» [4]، وهي كناية عن الانبهار، فهو في هذه الصورة يصف معركة " دير الجماجم " التي تعد أعظم واقعة، لما جرى فيها من القتل الشديد وسفك الدماء و قطع الرؤوس، فهي تنسي وتشغل الأخ عن أخيه من قوة الدهشة والانبهار،وقد جاءت الكناية هنا عن صفة وهي صفة الانبهار والدهشة.

---

[1] الجاحظ: البيان التبيين ، ج2 ، ص 309 .

[2] أحمد زكي صفوت ، جمهرة خطب العرب، ج2، ص 276.

[3] المرجع نفسه،ص 279.

[4] المرجع نفسه،ص280.

والكناية هي إثبات الصفة المدعومة بالبراهين والدليل الذي يؤكد الدلالة التي يتوخاها المبدع، فالخطيب عندما يدل على المعنى الحقيقي الذي يقصد إليه ستارا لقيطا، يجعل المتلقي متحفزا ومتشوقا لرد هذا الستار،ومعرفة المقصد أو الدلالة التي تكمن وراءه وهذا ما لاحظناه في الأمثلة السابقة الذكر.

الخاتمة

وفي ختام هذه الرحلة البحثية التي قادتنا إلى فضاء البيان في خطب الحجاج بن يوسف الثقفي ،لنصل إلى محطة بسط النتائج التي خلصت إليها في هذه الدراسة وهي كالآتي:

1. تميزت الحياة السياسية في العصر الأموي بكثرة الأحزاب السياسية وتعددها التي تطالب بحقها في الخلافة، غير أن هذا التشتت و الانقسام لم يمنع هذا العصر من التصور و الازدهار، فقد بلغ أوج ازدهاره من الناحية الاجتماعية و الثقافية و الدينية,

2. احتل النثر بأنواعه المختلفة مكانة مرموقة في هذا العصر، وهذا راجع لطبيعة بعض أجناسه وضرورتها أهميتها البالغتين في هذا العصر، وتأتي الخطابة في مقدمة الأجناس الأدبية الشفهية، ولا يوجد عصر زها بالخطابة وحفل بالخطباء كهذا العصر،لأنها المنبع الذي اعتمد عليه الخطباء في دينهم وسياستهم .

3. تعد الخطابة من فنون النثر القولى،هدفها التأثير في جمهور السامعين واستمالتهم وإقناعهم بالحجج و البراهين ،وقد انفرد هذا الفن في العصر الأموي بجملة من السمات والخصائص ميزته بعض الشيء عن العصور الأخرى .

4. لقد نبغ في هذا الفن عدّة خطباء عرفوا بالفصاحة و البلاغة و إجادة البيان فكانت كلماتهم السبيل لفتحام القلوب و استمالة المشاعر والطرق إلى إيصال آرائهم وأفكارهم لسامعيهم وإقناعهم بها من بينهم زياد بن أبيه وأبو حمزة الشاري ولا ننسى كذلك الحجاج بن يوسف الثقفي .

5. سعى الحجاج بن يوسف الثقفي إلى توظيف التشبيه في خطبه ،لأنه وجد فيه وسيلة ناجحة للتعبير و التصوير، إذ أنه يرسم صورة واضحة الملامح تساعد المتلقي على استيعاب الفكرة ،و تبرز بلاغة هذا اللون التصويري في أنه يخلي براعة الخطيب وحذقه في عقد مشابهة بين صورتين ما كان يخطر في البال تشابههما ،فأضفت هذه النقلة بين الصورتين البعيدة و القريبة لمسة سحرية حركت بها عواطف سامعيها.

6. لقد أخذت الاستعارة الغابة في خطب الحجاج خاصة المكنية منها،وهو بذلك أراد أن يضفي أثرا في نفسية متلقيها،باعتبار أن بلاغتها تكمن تركيبتها اللغوية الجديدة التي تكسر الحواجز الموجودة بين الأشياء في العالم الواقي لتخلق عالم جديد خيالي ،فتعمل على تحريك العاطفة و الخيال لفهم المعنى المراد من خلال ركن من أركان التشبيه .

7. لقد استعان الحجاج بالاستعارة وحاول الاستفادة من مميزاتها في تشكيل صوره والتعبير عن أفكاره ،فتوسل بالتشخيص و جعل المعنى المجرد كائنا محسوسا له ملامحه وأبعاده ،وله قدراته في بعض الأحيان على الحس و الحركة .

8. استعان الحجاج بالكناية في مقاطع نصية كثيرة في خطبه، ليضفي بها لمسة جمالية في التشكيل النصي في جانبه التصويري ،على اعتبار أن سر جمالها يكمن في أنها تقدم الحقيقة مصحوبة بقرينتها الدالة عليها .

9. لو تأملنا الصور البيانية التي رسم ظلالها التشبيه و الاستعارة و الكناية،لوجدنا جلها تحمل في طياتها رسالة موجهة نحو متلق معين بأدق مسلك وأعذب بيان وأخلصه.

وفي الختام نأمل أن نكون قد وفقنا ولو بالقليل في الإحاطة بجانب من جوانب الموضع، ونرجو أن يأتي من بعدنا من يكمل مسار هذا البحث، فنحن لا ندعي الكمال وإنما هي إضافة بسيطة لمن سبقونا في هذا المجال و "الله ولي التوفيق"

ملحق

خطبة الحجاج حين ولي العراق:

« خرج الحجاج يريد العراق واليا عليها، في اثني عشر راكبا على النجائب[1] ، حتى دخل الكوفة فجأة حين انتشر النهار ، و قد كان بشر بن مروان بعث المهلب إلى الحرورية فبدأ الحجاج بالمسجد فدخله ، ثم صعد المنبر و هو متلثم بعمامة خزّ حمراء ، فقال : علي بالناس ! فحسبوه و أصحابه خوارج ، فهمّوا به، حتى إذا اجتمع الناس في المسجد قام فكشف عن وجهه، ثم قال:[من الوافر]

أنا ابنُ جَلاَ[2]و طَلاَعُ الثَّنايا مَتَى أَضَع العمامة تعرفوني

أما والله إني لأحتمل الشر بحمله،و أحذوه بنعله، و أجزيه بمثله ،وإني لأرى رؤوسا قد أينعت وحان قطافها،وإني لصاحبها،وإني لأنظر إلى الدماء ترقرق بين العمائم واللحى.

قد شمّرت عن ساقها فشمّرا

ثم قال : [من الرجز .]

هذا أوان الشّدّ فاشتدّي زيَم[3] قد لفّها الليل بسواق حطم [4]

ليس براعي إبل ولا غنم و لا بجزار على ظهر وضم [5]»

و قال أيضا: [من الرجز].

قد لفها الليل بعصلبي[6] أروع[7] خرّاج من الدوي [8]

مهاجر ليس بأعرابي [9]...

---

[1] نجائب الإبل : خيارها .

[2] إبنجلا : الصبح .

[3] زيم : إسم فرس أو ناقة .

[4] الحطم : الراعي الظلوم للماشية .

[5] الوضم : كل ما قطع عليه اللحم .

[6] العصبلي : الشديد القوي .

[7] الأروع الكريم ذو الجسم و الجهاز و الفضل

[8] الدوي : المفازة و هي الدو .

[9] الجاحظ:البيان و التبيين ، ج2 ، ص ص 201 ، 202.

إني والله يا أهل العراق،والشقاق والنفاق، ومساوئ الأخلاق،ما أغمز تغماز التين ،ولا يقعقع[1] لي بالشنان [2]،ولقد فررت عن ذكاء،ولقد فتشت عن تجربة،وجربت من الغاية إن أمير المؤمنين كب كنانته ثم عجم عيدانها، فوجدني أمرها عودا، وأصلبها عمودا فوجهني إليكم، فإنكم طالما أوضعتم في الفتن، واضطجعتم [3] في مراقد الضلال،وسننتم سنن الغي.

أما والله لألحونكم لحو العصا،و لأعصبنكم عصب السلمة[4]، و لأضربنكم ضرب غرائب الإبل، فإنكم لكأهل قرية كانت آمنة مطمئنة يأيتها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون. إني والله لا أعد إلا وفيت،ولا أهم إلا أمضيت،ولا أخلُقُ[5] إلا فريت [6]،فإياي وهذه الجماعات،وقال وقيل،وما تقولون؟وفيم أنتم و ذلك؟ أما والله لتستقيمن على طريق الحق أو لأدعن لكل رجل منكم شغلا في جسده، من وجدت بعد ثالثة من بعث المهلب سفكت دمه،و انتهبت ماله.[7]

2-خطبة الحجاج بعد دير الجماجم:

خطب أهل العراق فقال:

«يا أهل العراق، إن الشيطان استطبنكم فخالط اللحم والدم والعصب والمسامع والأطراف والأعضاء و الشغاف[8]، ثم أفضى إلى المخانخ[9]والصمائخ[10]، ثم ارتفع فعشش، ثم باض و فرخ فحشاكم شقاقا و نفاقا، أشعركم خلافا اتخذتموه دليلا تتبعونه

---

[1]القعقعة : تحريك الشيء اليابس مع الصوت .

[2]الشنان : القرب البالية .

[3]أوضعتم : أسرعتم .

[4]السلمة : شجرة كثير الشوك

[5] أخلق : أقدر .

[6] وفريت : قطعت .

[7]الجاحظ : البيان التبيين ، ج2 ، ص ص 202 ، 203 .

[8] الشغاف : غلاف القلب .

[9]المخانخ : جمع مخ .

[10] الصمائخ : جمع صماخ ، و هو من الأذن .

وقائدا تطيعونه، و مؤامرة تستشيرونه ، فكيف تنفعكم تجربة ، أو تعظكم وقعة ، أو يحجزكم إسلام ، أو يردكم إيمان ؟

ألستم أصحابي بالأهواز حيث رمتم المكر،وسعيتم بالغدر و استجمعتم للكفر،وظننتم أن الله تعالى يخذل دينه وخلافته،وأنا أرميكم بطرفي وأنتم تتسللون لواذا[1]، وتنهزمون سراعا، ثم الزاوية،وما يوم الزاوية [2]؟ بها كان فشلكم وتنازعكم وتخاذلكم وبراءة الله منكم ونكوص وليكم عنكم، إذا وليتم كالإبل الشوارد إلى أوطانها، النوازع إلى أوطانها[3]، لا يسأل المرء منكم عن أخيه،ولا يلوي الشيخ عن بنيه، حتى عضكم السلاح وقصمتكم[4]الرماح، ثم يوم دير الجماجم،ومادير الجماجم؟ بها كانت المعارك والملاحم بضرب يزيل الهام[5] عن مقيله [6]، ويذهل الخليل عن خليله. »[7]

«يا أهل العراق، الكفرات بعد الفجرات، و الغدرات بعد الخترات، و النزوة بعد النزوات إن بعثتكم إلى ثغوركم غللتم، و خنتم، و إن أمنتم أرجفتم، و إن خفتم نافقتم، لا تذكرون حسنة ولا تشكرون نعمة.!

يا أهل العراق: هل استخفكم ناكث، أو استغواكم غاو، أو استفزكم عاص أو أستنصركم ظالم ، أو استعضدكم خالع – إلا وثقتموه و آويتوه و عززتموه و نصرتموه و رضيتموه .

يا أهل العراق ، هل شغب شاغب ، أو نعب ناعب ، أو نعق ناعق ، أو زفر زافر إلا كنتم أتباعه و أنصاره . يا أهل العراق ، ألم تنهكم المواعظ ؟ ألم تزجركم الوقائع ؟

ثم إلتفت إلى أهل الشام ، و قال : يا أهل الشام ، إنما أنا لكم كالظليم [8]الذاب عن

---

[1]اللواذ : من لوذ بالشيء إستتر به .

[2]الزاوية : موضع بقرب البصرة جرت فيه موقعة بين الحجاج و إبن الأشعث .

[3]أعطان : جمع عطن و هو مبرك الأبل .

[4] و قصمتكم : جمع وقص : الكسر

[5]الإلهام جمع هامة و هي الرأس .

[6]مقيلة :موصعة

[7]ابن عبد ربه:العقد الفريد ، ج4 ، ص ص 204 ، 205 .

[8]الظليم : ذكر النعام .

فراخه ، ينفي عنها المدر[1] ، و يباعد عنها الحجر و يكنها من المطر ، و يحميها من الضباب [2]، و يحرسها من الذئاب ، يا أهل الشام ، أنتم الجنة و الرداء ، و أنتم العدة و الحذاء»[3]

3- خطبته و قد أرجف أهل العراق بموته:

«مرض الحجاج ففرح أهل العراق، و أرجفوا بموته، فلما بلغه تحامل حتى صعد المنبر فقال:

إن طائفة من أهل العراق الشقاق و النفاق، نزغ [4] الشيطان بينهم فقالوا: مات الحجاج و مات الحجاج فمه ؟ و هل يرجو الحجاج الخير إلا بعد الموت ؟ و الله ما يسرني ألا أموت ، و أن لي الدنيا و ما فيها، و ما رأيت الله رضي بالتخليد إلا لأهوان خلقه عليه إبليس ، قال : أنظرني إلى يوم يبعثون ، قال : إنك من المنظرين ، و لقد دعا الله العبد الصالح . فقال:﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكاً لا يَنْبَغِي لأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي ﴾[5] فأعطاه ذلك إلا بقاء، فما عسى أن يكون أيها الرجل ؟ و كلكم ذلك الرجل، كأني و الله حتى منكم ميتا. و بكل رطب يابسا و نفل في ثياب أتفانه إلى ثلاث أذرع طولا ، في ذراع عرضا ، و أكلت الأرضي لحمه ، و مصت صديده ، و انصرف الحبيب من ولده يقسم الخبيث من ماله ، إن الذين يعقلون يعلمون ما أقول ثم نزل . » [6]

---

[1] المدر : قطع الطين اليابس .

[2] الضباب : جمع ضب ، و هو حيوان كالوزعة و الحرباء .

[3] إبن عبد ربه : العقد الفريد ، ج4 ، ص 205.

[4] نزغ ، أفسد و أغوى .

[5] سورة ص ، الآية : 35 .

[6] أحمد زكي صفوت : جمهرة خطب العرب ، ج2 ، ص ص 286 ، 287 .

قائمة المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم (رواية حفص)**

أ) **المصادر:**

- **الحديث النبوي الشريف**

1-أبو جعفر محمد بن جرير الطبري:تاريخ الرسل و الملوك، تح /أبو الفضل إبراهيم، ج5، دار المعارف، القاهر، مصر، ط1971،8م.

2-جمال الدين بن نباتة: سرح العيون في شرح رسالة بن زيدون، تح /محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي ،(دب)،(دط)،1964 م.

3-أبو الحسن أحمد بن فارس: الصاحبي في فقه اللغة العربية، تح/ أحمد حسن بسخ ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،ط1،(دت).

4-أبو الحسن على المسعودي:مروج الذهب و معادن الجوهر، تح /كمال حسن مرعي،ج3،المكتبة العصرية ،صيدا،بيروت،ط2005،1م.

5-الخطيب القزويني :الإيضاح في علوم البلاغة المعاني و البيان و البديع تح /إبراهيم شمس الدين،دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان،ط2003،1م.

6-ابن خلدون:مقدمة بن خلدون،تح /عبد الله محمد الدرويش،ج1،دار يعرب لتوزيع،(دب)،ط2004،1م.

7-ابن عبد ربه الأندلسي:العقد الفريد،تح /عبد المجيد الترحيني،ج5،دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان،ط1983،1م.

8-الرماني و الخطابي و عبد القاهر الجرجاني: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن تح /محمد خلف الله و محمد زغلول سلام، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط3 1976م.

9-ضياء الدين بن الأثير:الكامل في التاريخ، تح /محمد يوسف الدقاف،ج4، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان، ط1987،1 م.

10- ضياء الدين بن الأثير:النهاية في غريب الحديث و الأثر، تح/ على بن حسن الحلبي، دار بن الجوزي ، جد، السعودية، ط1، (دت).

11- ضياء الدين بن الأثير:أسد الغابة في معرفة الصحابة، دار بن حزم بيروت، لبنان، ط2012،1م.

12- ضياء الدين بن الأثير:المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر،ج2 تح أحمد الحوفي و بدوي طبانة، دار النهضة ، مصر، القاهرة، ط2 1962 م.

13- ابن العباس أحمد القلقشند، صبح الأعشى،ج1،دار الكتب المصرية القاهرة ،مصر،(دط)،1922م.

14- أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان و التبيين، تح /علي أبو ملحم،مج1، دار مكتبة الهلال، بيروت،لبنان، ط1922،2م.

15- أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي:العمدة في محاسن الشعر وآدابه و نقده، تح/ محمد محي الدين عبد الحميد،ج1، دار جيل ، بيروت لبنان،ط1981،5م.

16- عماد الدين بن كثر القرشي: البداية و النهاية، تح/ حان عبد المان ج1، بيت الأفكار الدولية، عمان، الأردن، ط1، (دت).

17- أبو الفرج قدامة بن جعفر :نقد النثر ، تح/ طه حسين بيكو عبد الحميد العبادي، مطبعة الأميرية بولاق، القاهرة ، مصر،(دط)،1941م.

18- أبو الفرج قدامة بن جعفر :نقد الشعر ، تح /محمد عبد المنعم خفاجي،دار الكتب العلمية،(دط)،(دت).

19- أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري: أساس البلاغة تح/ محمد باسل عيون السود، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان (دط) ، (دت).

20- أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري: الكاشف عن حقائق غوامض التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل، تح /عادل أحمد عبد الموجود علي محمد معوض، ج1،دار العبيكان، الرياض، السعودية ط1، 1998م.

21- عبد القاهر الجرجاني :دلائل الإعجاز ، تح /محمد رضوان الداية ، دار الفكر، دمشق ، سورية، ط1،2007 م.

22- عبد القاهر الجرجاني:أسرار البلاغة، تح/ محمد رشيد رضا، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان، ط1،1988 م.

23- محمد أبو زهرة :الخطابة أصولها تاريخها في أزهر عصورها عند العرب تح /أحمد إبراهيم بيك ،مطبعة العلوم ،(دب)،ط1 ،1944م .

24- محمد أحمد بن طباطبا العلوي :عيار الشعر، تح /عباس عبد الساتر ، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان، ط2،2005 م.

25- محمد الخضر بيك :محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية الدولة الأموية تح /محمد العثماني، دار القلم، بيروت، لبنان، ط1،1986م.

26- محمد بن سعد الزهري :الطبقات الكبير، تح علي محمد عمر، ج8، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط1،2001م.

27- أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، المعارف، تح /ثروت عكاشة، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط4،(دت).

28- ابن منظور :لسان العرب ، تح /عبد الله علي الكبير و محمد حسب الله و آخرون ،دار المعارف ،القاهرة مصر ،(دط)،)(دت).

29- أبو هلال العسكري: الصناعتين الكتابة و الشعر، تح / علي محمد البجاوي و محمد أبو الفضل إبراهيم، دار أحياء الكتب العربية، (دب)، ط1 1952م.

30- أبو يعقوب السكاكي:مفتاح العلوم، تح نعيم زرزور، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط1، 1983م.

ب-المراجع:

1- أحمد حسن الزيات: تاريخ الأدب العربي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر الفجالة، القاهرة، ط1،(د ت).

2- أحمد زكي صفوت: جهرة خطب العرب، ج2، مطبعة مصطفي البابي الحلبي وأولاده، (د.ب)، ط1، 1923م.

3- أحمد محمد الحوفي: فن الخطابة، دار نهضة مصر، القاهرة، مصر (دط) ، 2002م.

4- أحمد محمد الحوفي: أدب السياسة في العصر الأموي ، نهضة مصر للطباعة القاهرة، مصر، ط6 ،2007.

5- أحمد مصطفى المراغي: علوم البلاغة البيان والمعاني والبديع، المكتبة العصرية،صيدا، بيروت، (دط)،2004م.

6- أحمد معمور العسيري: موجز التاريخ الإسلامي، مكتبة الملك فهد الوطنية (د ، ب)، ط1996،1م.

7- أمين أبو ليل: علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، دار البركة، عمان الأردن، ط1، 2006م.

8- بطرس البستاني:محيط المحيط، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، (دط) 1987 م.

9- عبد الجليل عبده شلبي، الخطابة و إعداد الخطيب، دار الشروق ، القاهرة مصر ، ط2، 1986م.

10- حنا الفاخوري: الجامع في تاريخ الأدب العربي، دار الجيل، بيروت، لبنان ط1، 1986م.

11- الزواوي بغورة: الفلسفة واللغة والنقد ، المنعطف اللغوي في الفلسفة المعاصرة، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط 1 ،2005 م.

12- سامر محي الدين أمين: الحجاج بن يوسف الثقفي حياته، أخباره، دار المستقبل عمان، الأردن، ط 1، 2012م.

13- سامي يوسف أبو زيد: الأدب الإسلامي والأموي، دار المسيرة للنشر و التوزيع، عمان، الأردن، ط1 2012 م.

14- السيد أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع تد /يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط2، 2000م.

15- شوقي ضيف: التطور والتجديد في الشعر الأموي، دار المعارف بيروت، لبنان ، ط 8، (د، ت).

16- شوقي ضيف: الفن و مذهبه في النثر العربي، دار المعارف، القاهرة مصر، ط9، 1960م.

17- شوقي ضيف : البلاغة تطور و تاريخ ، دار المعارف ، القاهرة ، بيروت ط9 ،(د ت).

18- طه حسين: من حديث الشعر والنثر، دار المعارف،القاهرة، مصر، (د، ط) (د، ت).

19- علي فرّاجي: محاضرات في تطبيقات علم البيان، دار هومة، بوزريعة الجزائر، (د.ط)، 2010م.

20- عمر فروخ: الحجاج بن يوسف الثقفي، مكتبة الكاشف، بيروت، لبنان (د.ط) ،1941 م.

21- عمر فروخ: تاريخ الأدب العربي، ج1، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان ط 4 ، 1981م.

22- فضل حسن عباس: البلاغة فنونها وأفنانها، ج 2، دار النفائس، عمان الأردن، ط12، 2009م.

23- فهد خليل زايد: البلاغة بين البيان والبديع، دار يافا العلمية، الأردن عمان، ط1 ،2009م.

24- الفيروز آبادي: قاموس المحيط، تح محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان، ط 8 ، 2005م.

25- كمال الزماني: حجاجية الصورة في الخطابة السياسية لدى الإمام علي رضي الله عنه، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن ،ط 1 ،2012 م.

26- عبد اللطيف شريفي وزبير دراقي: الإحاطة في علوم البلاغة، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر ،2004م.

27- عبد المجيد حر: الأخطل شاعر الدولة الأموية، دار الفكر العربي بيروت، لبنان، ط1، 1999م.

28- محمد رمضان الحربي: البلاغة التطبيقية دراسة تحليلية لعم البيان، شركة ELGA، فاليتا، مالطا، ط3، 2000م.

29- محمد عبد الرحيم عدس، فن الإلقاء، دار الفكر، عمان، الأردن ، ط3 2005م.

30- محمد عبد المنعم خفاجي: الأدب العربي وتاريخه في العصرين الأموي والعباسي دار الجيل، بيروت، لبنان،(دط) ،1990 م.

31- محمد عبد المنعم خفاجي: الحياة الأدبية بعد ظهور الإسلام، دار جيل بيروت، لبنان، (د.ط) ، 1990م.

32- محمد يونس عبد العال: في النثر العربي قضايا وفنون ونصوص، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 1996م.

33- محمود زيادة: الحجاج بن يوسف الثقفي المفتري عليه، دار السلام (دب)، ط1 ،1995 م.

34- محمود شاكر: موسوعة الفتوحات الإسلامية، دار أسامة للنشر والتوزيع الأردن، عمان، ط1، 2002م.

35- مصطفى عناني وأحمد الإسكندر:الوسيط في الأدب العربي و تاريخه،(دد)،(دب)،ط1 ،1919م.

36- مصطفى البشير قط: مفهوم النثر الفني وأجناسه في النقد العربي القديم ديوان المطبوعات الجامعية للنشر، بن عكنون، الجزائر، ط1، 2010 م.

37- هارون عبود: أدب العرب، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر (د،ط)، 2012م.

2-الكتب المترجمة:

1-أرسطو طاليس: الخطابة : تح /عبد الرحمان بدري، دار القلم ، بيروت، لبنان،(د، ط) 1979م.

2- ديل كارنيجي: فن الخطابة، الوسام للخدمات المطبعية، عمان، الأردن ط1،(د.ت).

الفهرس

فهرس

مقدمة.....(أ . ج)

مدخل: الإطار التاريخي والأدبي للعصر الأموي.....(05-19)

1- الإطار التاريخي للعصر الأموي.....05

2-تعريف بالحجاج بن يوسف الثقفي.....07

3-الإطار الأدبي للعصر الأموي.....10

4-تعريف علم البيان في اللغة العربية.....18

الفصل الأول: فن الخطابة في العصر الأموي.....(21-43)

1- مفهوم الخطابة.....21

1-1- الخطابة عند العرب.....21

2-1- الخطابة عند الغرب.....23

2- خصائص الخطابة وصفات الخطيب.....24

2-1- خصائص الخطابة 24

2-1-1- إعداد الخطبة.....24

2-1-2-أجزائها.....25

2-1-2-1- مقدمة.....25

أ)المقدمة النبوية.....25

ب)المقدمة الشعرية.....26

ج)المقدمة المحذوفة.....26

د)مقدمات أخرى.....27

2-1-2-2العرض.....28

2-1-2-3-الخاتمة.....28

2-1-3التأثر بالقرآن الكريم.....30

2-1-4الإستشهاد بالشعر.....31

2-1-5-التخييل و التصوير.....32

2-1-6التعبير.....33

2-2صفات الخطيب.....34

2-2-1-الاستعداد الفطري.....34

2-2-2اللسن و الفصاحة.....35

2-2-3معرفة نفسية السامعين.....35

2-2-4سعة الثقافة و الاطلاع.....36

2-2-5سرعة البديهة.....36

2-2-6حرارة العاطفة.....36

2-2-7روعة المنظر وحسن الإلقاء.....37

أ)وقفة الخطيب.....37

ب)حسن الإشارة.....37

ج)جهارة الصوت و حلاوته 38

د) جمال الهندام.....38

3- من أعلام الخطابة في العصر الأموي 39

3-1زياد بن أبيه.....39

3-1-1حياته.....39

3-1-2آثاره.....40

3-1-3نصوص من خطبته.....40

3-2ابو حمزة الشاري.....42

3-2-1حياته.....42

3-2-2آثاره.....42

الفصل الثاني :الصور البيانية في خطب الحجاج بن يوسف الثقفي ...(45-65)

1-صور التشبيه.....45

1-1تعريفه لغة و اصطلاحا.....45

1-1-1-لغة 45

1-1-2اصطلاحا.....45

1-2انواعه.....47

1-2-1التشبيه المفصل 47

1-2-2التشبيه المجمل.....48

1-2-3التشبيه البليغ.....51

2-صور الاستعارة.....52

2-1-تعريفها لغة و اصطلاحا.....52

2-1-1-لغة.....52
2-1-2-اصطلاحا.....53
2-2-أنواعها.....55
2-2-1-الاستعارة المكنية.....55
2-2-2-الاستعارة التصريحية.....59
3-صور الكناية 59
3-1-تعريفها لغة واصطلاحا.....60
3-1-1-لغة.....60
3-1-2اصطلاحا.....60
3-2-أنواعها.....62
3-2-1-كناية عن صفة.....62
3-2-2-كناية عن موصوف.....62
3-2-3 كناية عن نسبة 62
الخاتمة 67
ملحق.....70
قائمة المصادر و المراجع.....75
الفهرس.....83